

لَمَّا تَلَقَّيْنَا

مَعْتَزِ هَيْثَم

لما تلاقينا  
رواية رومانسية واقعية  
بقلم: معتز هيثم  
القاهرة – 2025

---

المقدمة

في كل زحمة شارع، في كل ضوء بيتأخر، ممكن تلاقى حكاية مستنياك  
الحب مش دايمًا ببيجي بمواعيد، ساعات ببيجي صدفة بسيطة، كلمة، أو نظرة بتقلب الدنيا كلها  
لما تلاقينا، ماكنّاش بنخطط لحاجة... لكن القدر كان كاتب أول سطر  
دي مش حكاية خيالية، دي حكاية من قلب الحياة... عن شاب بسيط، يحاول يعيش بشغفه، وعن  
بنت مؤمنة إن التفاصيل الصغيرة ممكن تغيّر مصير كامل  
حكاية عن اللقاء الأول، وعن الخوف، والغياب، والصبر، والفرحة اللي بتيجي بعد تعب طويل  
رواية بتتكلم عن معنى إنك تلاقى نفسك في عينين حد، وتشوف في وجوده صورة المستقبل  
لما تلاقينا... كانت البداية

---

فهرس الفصول

• المقدمة

- الفصل الأول: بداية اللقاء
- الفصل الثاني: بريق التعارف
- الفصل الثالث: لحظات الصدق
- الفصل الرابع: بين الخوف والاقتراب
- الفصل الخامس: عتاب القلوب
- الفصل السادس: البعد الاختياري
- الفصل السابع: العودة إلى الضوء
- الفصل الثامن: دفع المسامحة

- الفصل التاسع: ما بعد الرجوع
  - الفصل العاشر: اختبار الاحتفال
  - الفصل الحادي عشر: قرارات الحياة
  - الفصل الثاني عشر: بناء يوميات جديدة
  - الفصل الثالث عشر: مفاجأة قديمة
  - الفصل الرابع عشر: اختبار الثقة الأكبر
  - الفصل الخامس عشر: تأثير الصداقة
  - الفصل السادس عشر: لحظة الحسم
  - الفصل السابع عشر: التحضيرات البسيطة
  - الفصل الثامن عشر: يوم الزفاف
  - الفصل التاسع عشر: بداية حياة مشتركة
  - الفصل العشرون: غاية السعادة
  - الخاتمة
- 
-

## الفصل الأول

### اللقاء

كانت القاهرة، في مساءٍ من مساءات مارس، تغتسل بأضواءها المتكسرة على صفحة النيل. الهواء يحمل برودة خفيفة تمتزج برائحة البن، والمدينة كلها تبدو كأنها تتنفس ببطء. على كورنيش النيل، في مقهى صغير اسمه «النسمة»، اعتاد أن يجلس كل مساء بعد عمله الطويل. شاب بسيط، اسمه معاذ، يحمل كاميرته القديمة في حقيبة جلدية عتيقة، ويبحث بين الوجوه عن مشاهد تغريه بالتصوير، وعن قصص تُوقظه من رتابة الأيام.

لم يكن في نيته أن يقابل أحداً. جاء فقط ليستريح قليلاً من ضجيج العاصمة، ومن تعب العمل الذي لا ينتهي. جلس في الركن القريب من الزجاج، يراقب انعكاس الأنوار على الماء، وأخذ رشفة من قهوته السادة، تلك التي لا يحبها أحد سواه لأنها تُشبهه: مرّة، بسيطة، وصادقة.

في تلك اللحظة، دخلت هي.

لم تكن تعرف أن وجودها سيقرب يومه رأساً على عقب. كانت سحر تمسك كتاباً صغيراً في يدها، شعرها منسدل ببساطة على كتفيها، وملابسها عادية جداً، لكن في عينيها شيء مختلف؛ شيء يجذبك دون أن تفهم لماذا. جاءت بصحبة صديقتها، جلستا على الطاولة المقابلة، وضحكتا بخفة لم تمرّ على قلبه مرور الكرام.

التفت مرة، ثم عاد إلى قهوته. لكن فضوله تغلب عليه. لاحظ أنها تتحدث كثيراً وببيديها الصغيرة أثناء الكلام، وأنها حين تضحك تضع يدها على فمها بخجل. حاول أن يتجاهلها، لكنه فشل.

وفي اللحظة التي مدت فيها صديقتها يدها لثغادر، اصطدمت حقيبتها بطاولته وسقطت مفكرته الصغيرة على الأرض. التقطها بسرعة، وحين رفع رأسه وجدها أمامه. نظرت إليه بخجل وهي تقول:

"أسفة جداً... ماخدتش بالي".

ابتسم وقال بلطف:

"ولا يهملك، بس الظاهر المفكرة دي بتدور على سبب تقع فيه".

ضحكت لأول مرة أمامه. ضحكة لم تكن عالية، لكنها كانت صافية. تبادلوا كلمات قصيرة، لا تتعدى الاعتذار والردّ عليه، لكنها كانت كافية لفتح بينهما باباً صغيراً.

عادت إلى طاولتها، لكنه لم يعد كما كان. ظلت ضحكتها ترنّ في أذنه. وبعد دقائق، استجمع شجاعته ومدّ الكاميرا تجاهها بلطف وقال مبتسماً:

"أنا مصوّر، والمشهد دلوقتي حلو أوي... تحبي أتصوركوا مع بعض؟"

نظرت إلى صديقتها، ثم إليه، وقالت بخجل:

"تمام... بس متطولش في اللقطة".

التقط الصورة، ثم نظر في الكاميرا مبتسماً:

"جميلة جداً... الصورة مش بس شكل، هي لحظة، واللحظة دي شكلها كانت بتستناك".

لم ترد، لكنها نظرت إليه نظرة سريعة ثم التفتت للنافذة. ومنذ تلك اللحظة، صارت الأجواء في المقهى مختلفة. كأن كل شيء تغير: الموسيقى الهادئة، صوت الموج الخفيف، حتى العامل الذي يلّم الطاولات صار أبطأ في حركته.

حين نهضا للمغادرة، تقدّم هو بخطوة خفيفة وقال:

"استني لحظة... الصورة دي لازم توصلك، ينفع آخذ رقمك أو إيميلك أبعثهاك عليه؟"

ترددت قليلاً، ثم قالت:

"تمام، بس بعثها على الإيميل، عشان الصديقة اللي معايا تبقى عندها كمان".

كتب البريد الإلكتروني على ورقة صغيرة ووضعها في جيبه. وبعد دقائق، غادرت.

جلس بعدها طويلاً، ينظر إلى المكان الذي كانت تجلس فيه.

لم يكن يفهم بعد ما الذي حدث، لكنه شعر بشيء يتحرك في صدره؛ شيء بسيط وصادق، يشبه الحنين لشيء لم يأت بعد.

---

في الليل، عندما عاد إلى شقته الصغيرة في حيّ الدقي، فتح جهازه وأرسل الصورة. لكنه لم يكتفِ بذلك. كتب في الرسالة:

"دي الصورة اللي وعدتني أبعثهاك، بس بيني وبينك... الصورة دي مش مجرد لحظة، دي بداية حاجة حلوة مش عارف هتخلص على إيه، بس عجبتي".

تردد قبل أن يضغط على الإرسال، ثم ابتسم وضغط.

مرّت ساعات طويلة وهو ينتظر الرد، حتى كاد ينام. وفجأة، أضاء هاتفه برسالة جديدة:

"الصورة فعلاً حلوة... بس اللي مصورها باين عليه عنده عين مختلفة".

قرأ الرسالة أكثر من مرة. قلبه دقّ بسرعة، وأحس أن شيئاً بدأ يتكوّن، كأن خيطاً غير مرئي يربط بينه وبينها.

ومن تلك الليلة، صار ينتظر إشعار البريد أكثر من أي شيء آخر في حياته.

---

في اليوم التالي، عاد إلى المقهى، جلس على نفس الطاولة، كأنه ينتظر أن تتكرر الصدفة. ولم يخب ظنه.

بعد ساعات، رأى ظلها يمرّ بجانبه. كانت وحدها هذه المرة. لم تنتبه لوجوده أولاً، لكنه وقف

وقال:

"واضح إن المقهى ده بيتفانل بينا".

ابتسمت بخفة وقالت:

"واضح إنك أنت اللي مشيت على أثر الصورة".

جلسا قليلاً، حديث بسيط عن الجو، وعن القاهرة اللي بتتغير كل يوم، وعن الزحمة اللي بتقتل المزاج، وعن الكتب اللي بتحبها هي. حكّت له إنها بتحب الكتابة والقراءة القديمة، وإنها بتشتغل في دار نشر بسيطة في وسط البلد. أما هو فحكى عن شغفه بالتصوير، وعن محاولته يعيش من شغله رغم الصعوبات.

في وسط الحديث، قال لها ضاحكاً:

"أنا بحاول ألقط اللحظات اللي الناس مش بتشوفها... زي النهارده".

ردت بابتسامة دافئة:

"بس أحياناً اللحظة نفسها بتلطقك قبل ما تلحق تصويرها".

ساد صمت لطيف بينهما، كأن كل منهما يفكر فيما قال الآخر.

بعد ساعة من الحديث العابر، خرجا من المقهى سوياً، يسيران على الكورنيش، والهواء البارد يمرّ بخفة على وجهيهما. كان يشعر أنها المرة الأولى منذ زمن بعيد يشعر فيها بالسكينة.

عند نهاية الطريق، قالت له:

"أعتقد إننا هنتقابل تاني".

فقال مبتسماً:

"أكيد... لما تتلاقى اللحظة الثانية".

---

ومن تلك الليلة، بدأت الحكاية.

لم يكن يدري وقتها أن ذلك اللقاء العابر سيصير بوابة لحياة كاملة، وأن تلك الضحكة الصغيرة التي التقطها بعدسة الكاميرا ستصبح فيما بعد صورةً داخل قلبه، لا تمحى.

---

## الفصل الثاني

### تعرفان أعمق

مرت أيام قليلة بعد اللقاء الأول، لكن بالنسبة لمعاذ، كانت الأيام تمشي ببطءٍ غريب، كأنها تنتظر رسالة منها كي تتحرك.

منذ أن تبادل البريد معها، صار هاتفه نافذته الوحيدة للطمانينة. كل إشعار بريد جديد كان يرفع نبضه، حتى وإن كان إعلاناً تافهًا من متجر إلكتروني.

في مساء يومٍ هادئ، وبينما كان يراجع بعض الصور القديمة على حاسوبه، جاء الإشعار المنتظر.

كان العنوان بسيطًا:

"مساء الخير يا مصور اللحظة".

فتح الرسالة سريعًا.

كتبت سحر:

"كنت بتكلم مع صديقتي عن الصورة اللي صورتها، وكنا بنضحك على الموقف. بس عجبني فيك حاجة غريبة... بتحس بالدنيا حوالين الناس. قليل أوي اللي عندهم النظرة دي.

بالمناسبة، أنا بقرا دلوقتي رواية قديمة جدًا عن صدفة خلت حياتين يتقاطعا. يمكن الصدف فعلاً ليها معنى".

ابتسم وهو يقرأ.

لم يكتب ردًا فورًا، أراد أن يصيغ الكلمات بعناية. هو لم يكن من النوع الذي يعرف كيف يتحدث مع الفتيات بخفة، لكنه كان صادقًا. كتب بعد دقائق:

"الصدف مش بتتكرر مرتين، بس ساعات القدر بيكون كريم كفاية إنه يدريك فرصة تفهم معناها".

من بعدها بدأت رسائل متبادلة، ليست كثيرة، لكنها عميقة.

أحاديث عن الكتب، وعن الموسيقى، وعن الشوارع اللي يحبها كل واحد فيهما. عرف أنها تعمل في دار نشر صغيرة في وسط البلد، اسمها «رواية»، تتعامل مع كتّاب شباب وتحاول تثبت نفسها.

تحب رائحة الورق والحبر، وتشرب الشاي بالنعناع حتى في الصيف.

أما هو، فحكى لها عن ولعه بالكاميرا، وعن المعارض الصغيرة اللي شارك فيها دون أن يسمع تصفيقًا حقيقيًا بعد.

في مساء الجمعة، كتب لها:

"أنا هكون في وسط البلد بكرة، رايح أشتري عدسة جديدة، لو صدفة حصلت ويتمشي هناك...  
ممكن أشتريك قهوة".

ترددت قليلاً، ثم كتبت بعد ساعة:

"هو أنا عادة مش بتمشي لوحدي، بس بما إنك قلت صدفة، خلينا نخليها كده فعلاً".

في اليوم التالي، وصل قبل الموعد بنصف ساعة.

وقف أمام مكتبة الشروق في شارع طلعت حرب، يحمل الكاميرا على كتفه وابتسامة متوترة.  
كانت القاهرة في ذروة الزحام، عربات متشابكة، وأصوات الباعة تتداخل مع موسيقى خفيفة من  
محل تسجيلات قريب.

حين جاءت، لم يرها وسط الزحام في البداية، لكنها نادته بصوتها الخافت:  
"معاذ؟"

التفت بسرعة، وابتسم.

كانت ترتدي فستاناً كحلياً بسيطاً، وتحمل حقيبة جلدية صغيرة، وشعرها مربوط للخلف بعفوية.  
قال مبتسماً:

"واضح إن الصدفة الثانية حصلت".

ضحكت وقالت:

"واضح إنك كنت مستنيها".

مشيا سوياً باتجاه المقهى الصغير قرب ميدان التحرير.

جلسا في ركن بعيد، وطلبا قهوة وشاي.

الحديث بدأ متحفظاً، لكنه سرعان ما انساب بخفة.

سألها:

"هو إيه اللي خلاكي تختاري الشغل في دار نشر؟"

قالت بهدوء:

"يمكن علشان الكتب كانت أول حاجة حسيت إنها بتفهمني.

الكلمات بتسكنني من زمان، وأنا كنت عايزة أفضل قريبة منها حتى لو الشغل متعب".

ابتسم وقال:

"أنا كمان بحس إن الكاميرا بتفهمني أكثر من الناس.

الناس بتتكلم كثير، بس الصورة مبتكدبش".

نظرت إليه بعمق وقالت:

"بس الصورة ممكن تخبي حاجات برضو".

ردّ وهو يضحك:

"زي إيه مثلاً؟"

قالت:

"زي الخوف اللي ورا الابتسامة، أو الوحدة اللي ورا منظر البحر".

صمت لحظة. كلماتها أصابته في مكانٍ ما داخله.

فكر كم من صورهِ الجميلة كانت تُخفي في الحقيقة شيئاً مكسوراً في قلبهِ.

---

بعد ساعة من الحديث، خرجا يتمشيان في الشارع.

اشترى لها كوب عصير قصب من بائع في زاوية الشارع، وقال مماًزحاً:

"الناس كلها بتشرب قهوة وأنا جيت أقدم عرض جديد... عصير صُدف".

ضحكت:

"واضح إنك بتسمي كل حاجة صدفة".

رد:

"يمكن علشان الصدف هي اللي جابتك".

كانت تمشي بجواره بخطواتٍ بطيئة، كأنها تستمتع بالوقت دون أن تهتم بالوجهة.

توقف عند أحد الأرصفة، وأخرج الكاميرا.

قال لها بابتسامة خفيفة:

"المكان ده فيه ضوء جميل، ممكن آخذ لقطة تانية؟"

ترددت للحظة، ثم قالت:

"بس متقوليش دي بداية حاجة تانية".

ضحك وقال:

"مش هقول، المرة دي هخلي الصورة تتكلم".

التقط صورتها وهي تضحك.

وحين نظر في الشاشة، شعر أن شيئاً ما يتغير بداخله؛ لم تكن مجرد لقطة، كانت بداية انحياز

قلبه تجاهها.

---

عاد إلى منزله تلك الليلة متعباً، لكن قلبه خفيف.

ظل ينظر إلى الصورة لوقتٍ طويل، ثم أرسلها لها مع رسالة قصيرة:

"ودي الصورة التانية... بس المرة دي الصورة فيها معنى أكبر".

بعد دقائق، جاء الرد:

"يمكن المعنى مش في الصورة... يمكن في اللي وراها".

ومن تلك الليلة، صار حديثهما شبه يومي. صوتها عبر الهاتف صار يملأ فراغ بيته الصغير. أحياناً كانت تحكي له عن تفاصيل يومها في الدار، عن الكتاب المتعبين اللي يغيروا رأيهم كل يوم، وعن الكتب اللي ترفضها اللجنة وتكسر قلبها. وأحياناً كان يحكي لها عن صعوبة التصوير في الشوارع، وعن الناس اللي يهربوا من الكاميرا كأنها مرآة لأسرارهم.

لكن الأجل من كل ذلك، كان لحظات الصمت بينهما. ذلك الصمت المريح الذي لا يحتاج تفسيراً، كأنه لغة خاصة بين شخصين بدأ يفهمان بعضهما دون كلمات.

---

في أحد الأيام، قالت له:

"عارف يا معاذ، أنا بحب التفاصيل الصغيرة... زي طريقة النور لما يقع على وش حد بيحب، أو رائحة الشاي أول ما يتعمل. يمكن علشان كده أنا حبيت شغلك، كل لقطة ليها إحساس".

قال وهو ينظر إليها بإعجاب:

"بس التفاصيل الصغيرة هي اللي بتخلي الصورة حقيقية".

ثم صمت لحظة وأضاف بهدوء:

"وأنا بدأت أخاف من التفاصيل اللي ليها علاقة بيكي".

سألته بابتسامة خجولة:

"ليه؟"

قال:

"لأنني كل يوم بخاف أتعلق بلقطة مش هعرف أكررها".

---

ومنذ ذلك اليوم، تغيرت نبرة الحديث بينهما. صارت المكالمات أطول، والضحكات أعمق، والسكوت أكثر دفئاً. بدأ كل منهما يشعر أن الآخر لم يعد مجرد معرفة عابرة، بل شيء أكبر، غير مُسمى بعد. في آخر رسالة أرسلتها تلك الليلة كتبت له:

"كل يوم بحس إننا بنعرف بعض أكثر...  
مش بالكلام، لكن بالسكوت اللي مريح بينا.  
يمكن دي بداية الحكاية اللي محدش فينا كان بيخطط لها".  
قرأها مراتٍ عديدة، ثم كتب بخط صغير في مفكرته:  
"لما تلاقينا، بدأت الحكاية تعرف طريقها".

---

## الفصل الثالث

### أول اختبار

بدأت الأيام تجري بسرعة لم يعهدها معاذ من قبل.  
كل صباح صار يمرّ على المقهى الذي جمعهما أول مرة، لا لشيء سوى ليطمئن أن المكان ما زال كما هو، وأن ذاكرة اللقاء لم تُمس.

كان يشعر أن حياته بدأت تتخذ شكلاً مختلفاً منذ ظهرت سحر فيها؛ حتى الكاميرا التي كانت جزءاً من عمله فقط، صارت الآن شاهداً على تحولات قلبه.

لكن القدر لا يترك المشاعر تنمو بلا امتحان.  
في مساءٍ من أمسيات شهر يونيو، وبينما كان معاذ في طريقه للقاء سحر على كورنيش النيل، رنّ هاتفه باتصال غريب من رقم لم يعرفه.

كان المتصل مديراً لمعرض تصوير كبير في الإسكندرية.  
عرض عليه المشاركة في مشروع فوتوغرافي ضخم يوثق الحياة في القرى الساحلية — مشروع يستمر أربعة أشهر.

الفرصة كانت مغرية، بل كانت الحلم الذي كان يسعى له منذ سنوات.  
لكنها كانت تعني أيضاً أنه سيبتعد عن القاهرة، وعنهما.

جلس أمام النيل تلك الليلة شاردًا، وفي رأسه معركتان متوازيتان:  
صوت الحلم وصوت القلب.

حين جاءت سحر، لاحظت ملامحه الفلّقة قبل أن يتكلم.  
سألته بخفة:

"مالك؟ شكلك مش طبيعي النهارده".

قال بعد لحظة صمت:

"جالي عرض شغل في الإسكندرية... مشروع كبير.  
هيستمر شهر".

قالت بابتسامةٍ مترددة:

"دي حاجة حلوة، أُمال زعلان ليه؟"

تنهد وقال:

"علشان معرفش أسيب القاهرة... ولا أسيبك".

سكنت للحظة، ثم قالت بهدوءٍ ناضج:

"معاذ، أنت بتحب التصوير من قبل ما تعرفني.

اللي بيحب حد بجد، بيحبه وهو بيحقّق نفسه مش وهو بيتنازل عنها".

نظر إليها طويلاً، كأنه يحاول حفظ ملامحها في ذاكرته.

قال بصوتٍ مبجوح:

"بس خايف المسافة تغيّر فينا حاجة".

ردّت بابتسامة صغيرة:

"المسافة بتختبر، مش بتغيّر.

لو اللي بينا حقيقي، هيفضل".

كانت كلماتها بسيطة لكنها استقرت في قلبه مثل وعدٍ عميق.

ولأول مرة منذ التقاها، شعر أنه على وشك أن يعرف ما هو الحب الناضج حقًا — ذاك الذي لا

يفقد، بل يمنح مساحة للطيران.

---

في اليوم التالي، سافر إلى الإسكندرية.

المدينة استقبلته برائحة البحر التي اشتاقها منذ الطفولة، لكن هذه المرة لم يكن البحر يبعث على الطمأنينة.

كان يذكره بعينيها كلما تحرك الموج.

بدأ عمله بجدّ، لكنه كان يعيش على انتظار المساء.

ففي كل مساء، كانت بينهما مكالمة طويلة، تبدأ بالضحك وتنتهي بالصمت الذي يطول حتى يغلبه النعاس.

كانت تحكي له عن يومها في دار النشر، وعن زملائها، وعن الكتب الجديدة التي وصلت.

وكان يحكي لها عن الناس الذين يصوّرونهم في القرى، وعن الأطفال الذين يركضون خلف الكاميرا وهم يضحكون.

لكن شيئاً فشيئاً، بدأت المسافة تُظهر وجهها الآخر.

صارت المكالمات تتأخر، والرسائل تقلّ.

هو كان يبيت في مناطق نائية أحياناً بلا إشارة، وهي كانت تشغل بالعمل.

وفي بعض الليالي، كان يشعر بوخزٍ غامض من الغيرة عندما تخبره أنها خرجت مع زملائها الجدد.

لم يكن يصرّح، لكنه كان يكتب في دفتره:

"الخوف مش دائماً خوف من الفقد، ساعات بيبقى خوف من إننا ننعوّد على البعد".

---

بعد شهرين تقريباً، قررت سحر أن تفاجئه.

اتصلت به وقالت:

"أنا جاية إسكندرية بكرة.

دار النشر عندها توقيع كتاب، وقلت أستغل الفرصة".

تلعثم من الفرحة:

"بجد؟ مش مصدق!

تعالى، أنا هكون مستنيك عند محطة الرمل".

في اليوم التالي، كانت السماء صافية والبحر هادئاً كأن القدر نفسه رتب اللقاء.

حين رآها، أحس أن كل المسافات التي بينهما تلاشت دفعةً واحدة.

كانت ترتدي ملابس بسيطة، وشعرها منسدل على كتفيها.

اقترب منها وقال:

"الإسكندرية منورة النهارده".

ضحكت وقالت:

"هي منورة بيك ولا بالبحر؟"

قال وهو ينظر إليها مطوئاً:

"بك انتي".

قضيا اليوم سوياً بين الشاطئ ومطعم صغير يطل على البحر.

تحدثا كثيراً عن الشوق، عن الخوف، عن الأيام التي مرّت بينهما.

كانت كل كلمة منهما تخرج صافية، خالية من التكلف.

قالت له فجأة:

"معاذ، أنا مبحبش المسافات، بس لو المسافة علمتني أقدرك أكثر، يبقى ليها فائدة".

نظر إليها بإعجابٍ ممزوج بالامتنان، وقال:

"وساعات الغياب بيخلينا نفهم إحنا بنحب ليه".

ثم التقط صورة لهما معاً — أول صورة تجمعهما بعد شهور من البعد.

صورة بدت بسيطة، لكن في عينيه كان كل المعنى.

---

بعد اللقاء، عادت إلى القاهرة، وواصل هو مشروعه.

لكن المرة دي، لم يشعر بالوحدة كما كان من قبل.

صار وجودها في ذهنه طاقة تدفعه للعمل أكثر.

كان يصور الصيادين عند الفجر ويبتسم وهو يتخيل كيف ستحب سحر المشهد.

وكان يكتب لها رسائل طويلة لا يرسلها، يحتفظ بها في دفتره كأنها رسائل لمستقبلٍ قادم.

كتب في إحداها:

"أحياناً بحس إنك بقتي الجزء الهادي في حياتي.

الناس بتفتكر الحب وجع، بس الحقيقة إن الحب لو حقيقي بيظمن".

---

في نهاية المشروع، عاد إلى القاهرة.  
كانت المدينة كما تركها، لكن في قلبه شيء تغير: صار أقوى، أنضج، وأصدق في مشاعره.  
اتصل بها فور وصوله وقال:  
"أنا في القاهرة".  
صرخت فرحاً:  
"بجد؟!"  
أهلاً برجوعك يا مصوّر الصدف".

ضحك وقال:  
"الصدفة المرة دي كانت كبيرة أوي، بس خلصت بخير".  
قالت بخفة:  
"ومين قال إنها خلصت؟ يمكن دي بداية صدفة جديدة".

---

في المساء، التقيا في نفس المقهى القديم على النيل، نفس الطاولة، نفس الرائحة.  
لكنهما لم يعودا كما كانا.  
صار الحديث أعمق، النظرات أطول، والسكوت بينهما أكثر راحة.  
مدّ يده نحوها لأول مرة وقال:  
"وحشتيني يا سحر".

ابتسمت دون كلام، ووضعت يدها في يده.  
كانت تلك اللحظة إعلاناً صامتاً أن أول اختبار مرّ بسلام، وأن ما بينهما أصبح الآن أكثر من مجرد  
إعجاب.

كان حباً حقيقياً، نبت رغم الغياب، وازدهر رغم المسافة.

---

## الفصل الرابع

### مسافات واشتياق

كانت القاهرة مزدحمة كعادتها، لكنها بدت مختلفة في عيني سحر منذ عاد معاذ من الإسكندرية. رغم قرب المسافة الآن، إلا أن بينهما ظلّ غير مرئي اسمه الوقت. العمل الجديد الذي التحق به معاذ بعد المشروع كان يستهلك أغلب يومه — جلسات تصوير، مونتاج، لقاءات مع عملاء. أما هي، فكانت تغرق أكثر في عالم الكتب والنصوص، تنسّق كلمات الآخرين وهي تشتاق لأن تسمع منه كلمة تخصّها وحدها.

كانت تراه مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع، لكنّ الانتظار كان أصعب من البُعد نفسه. كل لقاء بينهما كان جميلاً، لكنه قصير جداً. كانت تتمنى أن تطول الجلسات قليلاً، أن يتأخر القطار، أن يختفي الزمن لساعةٍ واحدةٍ فقط كي تتنفس بجانبه دون حسابات.

في أحد الأيام، وبينما كانت في دار النشر تُراجع مسوِّدة كتابٍ جديد، رنّ هاتفها برسالة منه:

“أنا رايح أسوان أسبوع للتصوير، مشروع شركة سياحة. ماعرفتش أقولك إمبارح علشان كنت مشغولة في المعرض. بس وعد لما أرجع هنخرج نكمل اليوم اللي ماکملش”.

قرأت الرسالة أكثر من مرة. شعرت بوخزة صغيرة، ليست غضباً، بل خوفاً. لم تكن تخاف عليه من أحد، بل تخاف عليه من البُعد. كتبت له بخفةٍ تُخفي قلقها:

“سافر وارجع بالسلامة يا مصوّر الصدف. بس المرة دي ماتخليش الصور تنسيني”.

في تلك الرحلة، اكتشف معاذ أن الغياب ليس فراغاً فحسب، بل مساحة تُظهر كل ما تخفيه المشاعر. كان يقف أمام النيل في أسوان يلتقط الصور، وفي كل مرة يرفع الكاميرا كان يتخيل وجهها مكان المشهد.

كان يسمع صوتها في ضحكة الأطفال، ويرى عينيها في انعكاس الضوء على الماء.

وفي الليل، حين يجلس على الشرفة في الفندق، كان يكتب لها رسائل طويلة في مفكرته الورقية، لا يرسلها كلها، لكنه يحتفظ بها كنوع من الحنين:

“سحر...“

أول مرة أحس إن المكان حلو بس ناقصه حاجة. يمكن علشان اتعودت أشاركك تفاصيل الصورة قبل ما أضغط الزر.

الناس هنا طبيين، بس ولا حد فيهم يعرف يعني إيه صمتك وانتِ مركزة، ولا ضحكك وانتِ بتغلطي في كلمة.

يمكن لما أرجع، أصورك في مكانك الحقيقي: قدام البحر، مش قدام شاشة التليفون.”

---

في القاهرة، كانت سحر تمسك هاتفها كل مساء تنتظر رسالة منه. كانت تتابع صفحته على إنستجرام كل ساعة، تبحث في الصور التي ينشرها عن أثر لصوتها، عن معنى خفي.

وحين ترى صورة جديدة له وهو يبتسم، كانت تبتسم بدورها، ثم تغلق الهاتف وتهمس: "ربنا يرجعك بخير يا معاذ".

لكنها لم تُخبره أن غيابه بدأ يترك أثره فيها. الليل صار أطول، والكتب لم تعد تُسكت فراغها. حتى القهوة، التي كانت ترافقها في عملها، فقدت طعمها المألوف. كانت تشعر أن شيئاً بسيطاً جداً، لكنه أساسي، غاب عن حياتها.

---

بعد أسبوعين، عاد معاذ. لم يخبرها بموعد وصوله، أراد أن يفاجئها. اتصل بها في منتصف النهار وقال بصوتٍ مفعٍ بالحنين: "انزلي من الدار شوية، أنا تحت".

نزلت بسرعة دون أن تفكر. وحين رأته واقفاً أمام باب الدار، شعر كلاهما أن الانتظار لم يكن عبثاً. اقترب منها بخطواتٍ مترددة، ثم قال بخفةٍ تُخفي شوقه: "أنا قولت لازم أرجع الصورة اللي ناقصها عنصرها الأساسي". ضحكت وهي تمسك بحقيبتها، لكنها لم تستطع منع دمعة صغيرة سقطت من عينيها. قالت:

"إنت وحشتني يا معاذ".

ردّ بخفوتٍ صادق:

"وانتِ رجّعتيلي نفسي".

جلسا بعدها في مقهى صغير قريب من الدار.

كانت لحظة اللقاء الأولى صامتة، كل منهما ينظر للآخر كأنه يستعيد ملامحه من الذاكرة. ثم بدأت الحكايات تتدفّق — عن السفر، وعن الصور، وعن الناس الذين قابلهم.

قال لها:

"كل مرة كنت بصور مشهد جميل، كنت أتمنى تكوني جنبي.  
اللقطة الحلوة من غير مشاركة بتفقد معناها".

ابتسمت وقالت:

"بس يمكن البُعد خلّى كل حاجة ليها طعم.  
كنت مستنية اليوم ده كاني بستنى رواية أحبها توصل للنهاية".

ردّ مبتسمًا:

"بس أنا مش عايز الرواية تخلص".

بدأ بعدها يلتقيان أكثر.

لكن حتى بعد عودته، ظلت المسافة تسكن بينهما أحيانًا — ليست مسافة أماكن، بل مسافة وقتٍ وتفكير.

كانا مختلفين في طريقة التعبير:

هو يُظهر الحب بالأفعال، بالصبر، بالصمت الطويل.

وهي تُظهره بالكلمات، بالاهتمام، بالسؤال المتكرر.

وكان هذا الاختلاف أحيانًا يثير بينهما سوء فهم صغير.

ذات مرة، أرسل لها رسالة قصيرة بعد يوم عملٍ طويل:

"أنا تعبان شوية، هنام بدري".

قرأت الرسالة وشعرت أنه بدأ يبتعد.

ردّت بجملة قصيرة:

"تمام، تصبح على خير".

لكنها ظلت مستيقظة حتى الفجر، تقلب في صورهم القديمة وتحاول ألا تبكي.

في اليوم التالي، اتصل بها وقال بصوتٍ مرهق:

"انتي زعلتي مني مبارح؟"

قالت بخجل:

"مش زعل، بس حسيت إنك بقيت بعيد".

صمت قليلاً ثم قال:

"أنا لما بتعب مش بعرف أتكلم... بس عمري ما كنت بعيد".

ثم أضاف بعد لحظة صادقة:

"سحر، متخافيش من سكاتي.

سكاتي دايمًا معناه إنك في بالي مش العكس".

كانت تلك الجملة كفيلة أن تُذيب كل المسافات التي بينهما في ثانية واحدة.

بكت، لكنها بكت من الطمأنينة هذه المرة، لا من الحزن.

---

وفي مساءٍ آخر، أثناء جلوسهما على كورنيش النيل، قالت له وهي تنظر إلى الموج:

"حاسه إن الحياة بتتغير حوالينا، بس وجودك ثابت... زي النيل".

قال مبتسمًا:

"والنيل عمره ما يمشي في اتجاه غير البحر، وأنا برضه".

أمسكت بيده، لأول مرة دون خجل.

المدينة كانت صاخبة، لكن داخلهما كان هدوء غريب، يشبه الدعاء المستجاب بعد انتظارٍ طويل.

---

في تلك الليلة، كتب معاذ في دفتره:

"الاشتياق مش دايمًا معناه البُعد،

أحيانًا يبقي إحساس بالحاجة لحدّ،

حتى وهو قدامك.

الحب مش وعد إننا مانتعش،

الحب وعد إننا نرجع لبعض مهما تعبنا".

---

ومن يومها، صار البُعد بالنسبة لهما شيئًا لا يخيف، بل يُذكرهما بمعنى القرب الحقيقي.

تعلم معاذ أن الحب ليس تواجدًا دائمًا، بل حضورًا عميقًا حتى في الغياب.

وتعلمت سحر أن الصمت أحيانًا أصدق من الكلام.

وهكذا، خرجا من اختبار المسافة أقرب مما كانا، أقوى مما توقعنا، وأكثر يقينًا أن ما بينهما لم يكن

صدفة عابرة...

بل بداية قدرٍ لا يعرف إلا أن يعود.

## الفصل الخامس

### لقاء بعد الغياب

مرّت أسابيع لم يلتقيا فيها كما اعتادا.  
كانت الأيام تمرّ ببطء، كأنها تمشي حافية فوق زجاج من القلق.  
معاذ غرق في دوامة عملٍ لا تنتهي: تصوير، مونتاج، ورحلات قصيرة خارج القاهرة.  
أما سحر، فكانت تنام متأخرة وتستيقظ متعبة، تملأ وقتها بالقراءة والكتابة كي لا تترك المساحة فارغة في قلبها.  
لكن رغم الانشغال، كانا يشعران بغيابٍ غير مريح؛ كأن شيئاً صغيراً تحرك من مكانه داخل كلٍ منهما، ورفض أن يعود كما كان.

كانت تراسله أحياناً، فيجيبها بجملٍ مقتضبة، لا تخلو من المودة لكنها تفتقد الدفء القديم.  
وهو كان يبرّر لنفسه دائماً أنه مشغول، لكنه كان يدرك أن المشغول الحقيقي لا ينسى من يحب، بل يجد له وقتاً مهما كان ضيقاً.

ذات مساءٍ من مساءات الخريف، قررت سحر أن تكتب له رسالة مختلفة، طويلة، لا تشبه رسائلها المعتادة:

"يا معاذ،

أنا مش بزعل إنك مشغول، أنا بزعل إنك مش بتحكي لي إنك مشغول.  
في فرق كبير بين الغياب وبين إنك تختفي من غير سبب.

كنت دائماً بتقول إن الصورة محتاجة ضوء علشان تبان تفاصيلها،  
بس أنا بقت حياتي دلوقتي من غيرك فيها ضوء ناقص.

يمكن الرسالة دي تبان درامية، بس أنا مش بكتبها علشان أعاتبك،  
بكتبها علشان أفكر نفسي، وأفكر إننا لما بدأنا، كنا صادقين جداً".

قرأ معاذ الرسالة في منتصف الليل، في الاستوديو الذي كان يعمل به.  
ظلّ ينظر إلى كلماتها طويلاً، وكل كلمة كانت تخبط في داخله مثل موج ثقيل.  
تذكّر كم وعدها أن لا تكون المسافة سبباً في البعد، وتذكّر نظرتها يوم قالت له: "المسافة بتختبر،  
مش بتغير".

الآن فقط فهم أنها كانت تمهّده ليوم كهذا.

جلس صامتاً دقائق، ثم كتب لها على الفور:

"سحر... أنا فعلاً قصرت، وده حقيقي.  
كنت فاكِر إن التعب مبرّر، بس اكتشفت إن التعب الحقيقي هو إن حدّ يحبّك وانت مش حاسس إنك  
حواليه.

أنا راجع القاهرة بكرة، وعايز أشوفك".

اليوم التالي كان يوماً رمادياً في سماء القاهرة.  
رذاذ خفيف من المطر، والهواء بارد كأنه يحمل رسالة من الشتاء المبكر.  
سحر خرجت من البيت بخطواتٍ سريعة، لم تضع عطرها المفضل هذه المرة، فقط اكتفت بأن  
تربط شعرها للخلف وترتدي معطفها الرمادي.  
قلبها يدقّ بقلقٍ وشوقٍ في آنٍ واحد.

وصلت إلى المكان الذي يعرفانه جيداً — نفس المقهى على كورنيش النيل الذي بدأ منه كل  
شيء.

جلست على نفس الطاولة، تطلّ على الماء الذي يعكس أضواء السيارات.  
كانت تمسك فنجان الشاي بيديها وكأنها تحاول أن تستمدّ منه دفئاً تنتظره من بعيد.

بعد دقائق، رأت معاذ يقترب بخطواتٍ هادئة.  
كان يرتدي جاكيتاً أسود، وشعره مبعثر من الهواء، وعلى وجهه ملامح تعبٍ وندمٍ وحنين.  
حين وصل، لم يتكلّم فوراً.  
جلس مقابلاً لها، وابتسم بخفةٍ لا تخلو من ارتباك.

قالت بنبرةٍ هادئة:

"أتأخرت".

ردّ بابتسامةٍ خفيفة:

"الزحمة كانت مجنونة... بس أنا كنت جاي من بدري في قلبي".

ابتسمت رغماً عنها.

كان يعرف كيف يذيب الحواجز بأبسط جملة.

سكتا قليلاً، ثم قال:

"قريت الرسالة كذا مرة، وكل مرة كنت بحس إنك صح.

أنا فعلاً كنت بعيد، مش بالجسد، بس بالعقل.

كنت فاكِر إن الشغل هيملا الفراغ، بس كنت كل يوم برجع فاضي أكثر".

نظرت إليه طويلاً، ثم قالت:

"أنا مكنتش عايزة منك وقت، أنا كنت عايزة إحساس.

تحس إنني لسه مهمة".

أطرق رأسه وقال بصوتٍ منخفضٍ:  
"وانتِ أهم حاجة حصلتلي من يوم ما مسكت الكاميرا.  
بس يمكن كنت محتاج أعيب شوية عشان أفهم ده".  
سكتت، ثم قالت وهي تنظر إلى النيل:  
"الناس بتتغير يا معاذ، بس الحب مش لازم يتغير معاهم".  
ردّ:  
"أنا مش عايز أتغير، أنا عايز أتطور... وانتِ تكوني معايا".  
كانت كلماته صادقة لدرجة جعلت عينيها تلمعان بالدموع.  
لم تكن دموع حزن، بل دموع راحة، كأنها أخيراً سمعت ما كانت تنتظره منذ زمن.

---

قاما بعدها يتمشيان على الكورنيش.  
الهواء كان باردًا، لكنه كان دافئًا بما يكفي أن يُقرب المسافة بين أيديهما.  
تكلمتا عن كل شيءٍ مؤجلٍ: عن العمل، عن الخوف، عن الغياب، وعن تلك الرسالة التي أنقذتهما  
من الصمت الطويل.  
ثم توقفا عند أحد السلالم الصغيرة المظلة على النيل.

قالت له بخفةٍ ممزوجة بشجن:  
"فاكر أول مرة اتقابلنا هنا؟  
كنت لابس نفس الجاكيث ده، وكنت بتحاول تخبي توترك بالقهوة".  
ضحك وقال:  
"وانتِ كنتي بتحاولي تباني مش مهتمة، بس كنتي بتبصيلي في المراية الصغيرة اللي ورا  
الكاونتر".  
ضحكت:

"ياااه، انتِ فاكتر التفاصيل دي؟"  
ردّ بابتسامَةٍ واسعة:  
"أنا مصوّر يا سحر... التفاصيل بالنسبالي هي القصة كلها".  
ثم ساد بينهما صمتٌ طويل، لكن هذه المرة كان الصمت مريحًا.  
السكوت الذي يُقال فيه كل شيء دون أن يُنطق.

---

حين بدأ المطر الخفيف يتساقط، رفع معاذ يده ليلتقط صورة.  
لكنها أوقفته وقالت بابتسامَةٍ رقيقة:  
"سيب الكاميرا المرة دي... خليك معايا بلحظة حقيقية من غير عدسة".

خفض الكاميرا وقال بهدوءٍ عميق:  
"اللقطة دي مش محتاجة تصوير، دي محتاجة قلب يفكرها".

اقترب منها خطوةً، ثم قال بخفوتٍ صادق:  
"سحر، أنا يمكن معرفش أكتب شعر، بس أنا عارف إنك الصورة الوحيدة اللي عمري ما هعدّل  
فيها ولا هحذفها".

نظرت إليه، وابتسمت تلك الابتسامة القديمة التي وقع في حبها أول مرة.  
قالت:

"بس المرة دي خلي الصورة ثابتة... متخلّيش الحياة تطمس ألوانها".  
ردّ:  
"وعد".

ثم مدّ يده نحوها، فأمسكت بها، وسارا معاً تحت المطر الخفيف، بينما القاهرة تلمع حولهما كأنّها  
تحتفل بعودتهما إلى بعض.

---

في تلك الليلة، كتب معاذ في دفتره:

"اللقاء بعد الغياب مش رجوع...  
هو بداية جديدة بنفس الأشخاص، لكن بقلب أفهم.  
سحر علّمتني إن الحب مش إننا مانفترقش،  
الحب إننا نرجع كل مرة أقرب من قبل".

---

وفي اليوم التالي، أرسل لها صورة للنيل في الصباح مع جملة واحدة:

"كل مرة أشوف النيل، بحس إننا جزء من موجه...  
بيبعد، ويرجع، بس عمره ما ينسى شطّه".  
ابتسمت سحر وهي تقرأ الرسالة، وأجابت:  
"وانت الشطّ اللي برجع له كل مرة... حتى وأنا مشيت بعيد".

---

ومن هنا، بدأ فصلهما الجديد—  
لم يعد الخوف يسكن بينهما، بل فهمّ أعمق، وصدق أكبر.  
علّمهما الغياب كيف يقدران الحضور،

وَعَلَّمَهُمَا اللِّقَاءَ أَنِ الْحُبَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى وَعْدٍ أَبَدِيٍّ،  
بَلْ إِلَى صِدْقٍ يَتَجَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ.

---

---

## الفصل السادس

### عوانق عائلية

كان صباح الجمعة مختلفاً؛ القاهرة تبدو أهدأ قليلاً، وكأنها تمنح الناس فرصة لالتقاط أنفاسهم بعد أسبوع طويل. جلس معاذ في شرفته الصغيرة، أمام كوب القهوة الذي برد دون أن يلمسه. كان ذهنه مزدحماً بصوت سحر من الليلة الماضية، وهي تحكي له أن والدتها بدأت تسأل أسئلة جادة عن علاقتهم.

أسئلة تحمل قلق الأمهات وخوفهنّ من المجهول:

“هو بيشتغل إيه بالضبط؟ عنده شقة؟ نواياه إيه؟”

لم تكن سحر قد نقلت له الكلام بنية الضغط، لكنها كانت صادقة معه. قالت له بهدوء:

“ماما مش ضدك يا معاذ، بس هي متعودة تحسب كل حاجة بخطوات، وأنا لسه مش عارفة أشرحها أنت بالنسبالي إيه بالضبط”.

تلك الجملة ظلت ترنّ في أذنه لساعات.

لم تجرحه، لكنها أيقظت داخله إحساساً بالمسؤولية لم يعرفه من قبل. هو، ابن الحي البسيط الذي عاش على الكفاح والعمل المستقل، يعرف تماماً معنى أن تنظر إليه عائلة أخرى بعين السؤال.

---

في مساء اليوم نفسه، قرر أن يواجه خوفه.

اتصل بها وقال:

“سحر، أنا عايز أتعرف على والدتك.

مش بشكل رسمي قوي، بس على الأقل تبقى شايفاني إنسان حقيقي مش فكرة”.

ترددت لحظة، ثم وافقت:

“تمام، بس خليك طبيعي. هي طيبة، بس محتاجة تظمن”.

---

جاء اليوم المنتظر.

ارتدى معاذ قميصاً أزرق بسيطاً وبنطالاً رمادياً.

وقف أمام المرأة يضبط شعره وهو يبتسم لنفسه بخليط من القلق والحماس.  
ثم أمسك علبة حلوى شرقية صغيرة اشتراها في طريقه، وذهب إلى منزل سحر في حدائق القبة.

فتحت له الباب والدتها بابتسامة متحفظة.  
امرأة في منتصف الخمسينات، ملامحها هادئة لكنها حادة الملاحظة،  
تبدو من النوع الذي يقرأ الناس في أول نظرة.  
رحّبت به بلطفٍ رسمي:

“أهلاً يا معاذ، سحر حكّلتني عنك كثير.”  
ابتسم وقال بثقةٍ مهذبة:  
“يا رب يكون الكلام كله خيراً.”

ضحكت بخفةٍ خجولة، ودعته للدخول.  
كانت الجلسة الأولى قصيرة لكنها مليئة بالمعاني غير المنطوقة.  
تحدث عن عمله، عن شغفه بالتصوير، عن مشروعاته التي بدأها بمجهوده.  
كانت والدتها تستمع بانتباهٍ شديد، تسأله عن تفاصيل الدخل والاستقرار،  
وهو يجيب بصراحةٍ لا يهرب منها ولا يزخرفها.  
في نهاية الزيارة، قالت له الأم بنبرة صادقة:

“أنا شايفة إنك شاب محترم ومكافح، بس الحياة مش دائماً بالشغف يا ابني،  
أوقات بتحتاج أمان.”  
ابتسم وقال بثقةٍ هادئة:  
“مع حضرتك حق، بس الأمان الحقيقي لما الواحد يكون صادق في نواياه.  
وأنا نيّتي من سحر مش كلام ولا تجربة، أنا شايفها جزء من حياتي.”  
نظرت إليه الأم طويلاً، ثم أومأت برأسها:  
“ربنا يسهلكوا الخير.”

---

بعد أن خرج، جلست سحر بجوار أمها تنتظر الحكم الأخير.  
قالت الأم وهي تنظر في فنجان القهوة:

“الولد محترم، بس طريقه صعب.  
مش عايزة أشوفك بتتعبني، سحر.”  
قالت سحر بهدوءٍ مفعمٍ باليقين:  
“مممكن أتعب، بس أتعب وأنا مقتنعة.  
وأنا مقتنعة بيه.”

---

في الأيام التالية، أحسن معاذ أن العلاقة دخلت مرحلة جديدة.  
لم يعد بينهما فقط حب ولقاءات، بل مسؤولية وتفكير في المستقبل.

صار يسأل نفسه كل يوم:

هل يكفي الحب ليبنى حياة؟

هل يكفي الصدق لطمأنة الأهل؟

وكانت الإجابات تتأرجح بين القلب والعقل.

لكنه لم يستسلم.

بدأ يعمل أكثر، يوسع دائرة زبائنه في التصوير، ويشارك في معارض صغيرة، حتى أنه بدأ في مشروعه الخاص بتوثيق قصص الناس في القاهرة — مشروع سماه "وجوه المدينة".

كان يصور الباعة، الأطفال، الكهول، كل وجه يحمل حكاية.  
وسحر كانت تتابع المشروع بافتخار، تساعده في كتابة النصوص المرافقة للصور.  
قالت له ذات يوم وهي تقرأ تعليقاته على الصور:

"اللي بتعمله مش تصوير، ده حياة مكتوبة بالنور".

ردّ مبتسمًا:

"وأنتِ النور اللي خلاني أشوف المعنى".

---

لكن كما هي العادة، لم تترك الحياة السعادة تسير بسلاسة.  
في إحدى الليالي، عاد إلى بيته مرهفًا ليجد رسالة طويلة من سحر:

"ماما بقت مضغوطة من الناس.

قريبتي شافتنا في المعرض وسألتها:

'هو ده خطيب سحر؟ بيشغل مصوّر؟!'

ماما اتضايقت جدًا، وقالتلي الكلام ده كله النهارده.

أنا مش عارفة أعمل إيه يا معاذ، بس اللي متأكدة منه إني مش هسيبك".

جلس معاذ يقرأ الرسالة وابتسامة هادئة ترسم على وجهه.

لم تغضبه كلمات الناس، بل جعلته أكثر تصميمًا.

كتب لها:

"الناس دايمًا هنتكلم يا سحر،

بس أنا وعدتك إن كل يوم هيكون خطوة لقدام، مش ورا".

وفي اليوم التالي، بدأ يبحث عن شقة صغيرة،  
يعمل على تجهيزها لتكون بداية حقيقية لحياته القادمة.  
لم يكن يمتلك الكثير، لكنه كان يمتلك الإصرار.  
ومع كل جهدٍ جديد، كان يكتب في دفتره:

“أنا مش بحارب عشان أثبت نفسي،  
أنا بحارب عشان أستحقها”.

---

مرت شهور، والعلاقة بينهما أصبحت أكثر توازنًا.  
الأم بدأت تلين تدريجيًا، تلاحظ جدية معاذ وثباته.  
في أحد الأيام، دعته سحر لحضور معرضه الجديد في الزمالك.  
ترددت الأم في البداية، لكنها ذهبت.  
وحين دخلت القاعة ورأت الصور معلقة بعناية،  
ورأت الناس يقتربون من لوحة كبيرة عنوانها “اللي بين الصورة والكلمة”،  
لاحظت تعليقًا صغيرًا أسفلها:

“إهداء إلى سحر... الوجه اللي خلى النور يعرف طريقه”.

حين قرأت الأم الجملة،  
نظرت إلى ابنتها ثم إلى معاذ الذي كان يتحدث مع أحد الضيوف بثقة هادئة.  
ابتسمت لأول مرة وقالت في سرّها:  
“يمكن الولد ده يستحق”.

---

في نهاية المعرض، اقتربت منه وقالت بابتسامة صادقة:

“معاذ، الصور دي كلها حكايات، بس أنا عايزة أشوف حكايتكم أنت وسحر تكمل للنهائية”.  
ابتسم وقال بتأثرٍ حقيقي:  
“إن شاء الله، يا طنط... وهتبقى من أجمل الحكايات”.

---

في تلك الليلة، عاد إلى شقته الصغيرة متعبًا لكنه سعيد.  
فتح نافذته، نظر إلى أضواء القاهرة التي تلمع من بعيد،  
وكتب في دفتره:

“الحب مش دايمًا بيواجه العالم بسهولة،  
بس لما يبقى حقيقي، بيقدر يصمد في وشّ أي حاجة”.

وسحر...  
كانت أول حدّ يخليني أو من إن كل تعب له معنى".

---

ومنذ تلك الليلة، تغيّر كل شيء.  
لم تعد علاقتهما تخاف من نظرات الآخرين،  
ولا من الأسئلة التي لا تنتهي.  
صار بينهما يقينٌ جديد:  
أن الحب مش مجرد وعد بالاستمرار،  
بل قدرة على المواجهة—  
مع العالم، ومع النفس، ومع المستقبل.

---

## الفصل السابع

### إثبات الذات

لم يكن معاذ يوماً من النوع الذي يتراجع. لكنه في تلك الفترة تحديداً، كان يشعر أن كل خطوة في حياته صارت امتحاناً مزدوجاً: امتحان لقدرته على النجاح في مهنته، و امتحان لثباته أمام نظرات الناس التي لا ترحم. بعد نجاح معرضه في الزمالك، بدأ يجد اهتماماً جديداً من بعض الشركات والجهات الإعلامية. اتصل به أحد المنتجين المعروفين، وعرض عليه أن يتعاون معهم في تصوير حملة عن روح القاهرة القديمة — مشروع ثقافي ضخم سيفتح له أبواباً كثيرة. كان العرض مغرياً جداً، لكنه أيضاً مرهق، ويتطلب التزاماً بدوام طويل. جلس معاذ مع سحر في أحد المقاهي الهادئة في الدقي، يحكي لها التفاصيل. كانت ترتشف شايتها بالنعناع كعادتها، وتنظر إليه بعينٍ فخورة رغم القلق. قالت له:

“الفرصة دي كبيرة يا معاذ... بس أنا عارفة إنك هتتعب أوي”.

ردّ وهو ينظر إلى كوب القهوة أمامه:

“هتتعب، بس التعب المرة دي له طعم تاني.

مش عشان الشهرة، ولا الفلوس... عشان أحس إنّي بعمل حاجة تثبت إن مكاني مش صغير”.

ابتسمت وقالت بخفوتٍ مليء بالحب:

“مكانك كبير عندي من غير أي إثبات”.

ضحك وقال:

“بس العالم مش ببشوف القلوب، ببشوف الإنجاز”.

كانت تعرف أنه على حق، لكنها كانت تخاف عليه من أن يضيع في دوامة إثبات الذات، تلك التي تبتلع الأحلام أحياناً باسم الطموح.

### بدأ العمل.

وكانت الأيام طويلة، مرهقة، لكنها تملؤه بالحياة. كان يستيقظ مع أول ضوء للفجر، يحمل كاميرته ويجوب شوارع القاهرة القديمة: خان الخليلي، السيدة زينب، درب البرابرة، والحسين.

كان يصور الناس في لحظاتهم اليومية — البائع وهو يبتسم رغم التعب، الطفل الذي يركض خلف حمامة، المرأة التي تجلس أمام بيتها تراقب الغروب.  
كل لقطة كانت تحمل روح مصر كما رآها هو: بسيطة، حقيقية، ومليئة بالكرامة.  
وفي كل مكان يذهب إليه، كان يجد صدى لصوت سحر في ذهنه،  
تذكره بعبارتها القديمة: "اللي بتعمله مش تصوير، ده حياة مكتوبة بالنور".

---

لكن ضغط العمل بدأ يؤثر على علاقتهما دون أن يشعر.  
كان يعود منهكًا، بالكاد يجد الوقت ليرسل لها رسالة قصيرة.  
وفي بعض الليالي، كانت تنتظره على الهاتف حتى ينام دون أن يتحدثا.  
وفي يومٍ ما، حين اتصلت به ولم يُجب، أرسلت له رسالة غاضبة:  
"أنا مش ضدّ شغلك، بس أنا بحس إنني فقدت مكانتي في يومك.  
كنت زمان بتصور الناس وتبعثلي صورهم، دلوقتي حتى صورتك مش عارفة أشوفها".  
حين قرأ الرسالة، شعر بوخز عميق.  
جلس على الرصيف أمام مسجد السلطان حسن في القلعة،  
وكتب لها وهو يبتسم رغم التعب:  
"يمكن اختفيت شوية في الزحمة، بس أنا مش نسيتك لحظة.  
كل صورة بصورها، فيها جزء منك.  
حتى لو الكادر فيه مية وشّ،  
في الآخر أنا دايماً بشوفك في النص".  
بعد دقائق، جاء ردها:  
"وأنا كمان بشوفك في التفاصيل.  
بس نفسي أشوفك في الحياة".

---

في نهاية الشهر، قرر أن يعوّضها عن كل الغياب.  
اتصل بها صباح الجمعة وقال لها بنبرة مليئة بالحماس:  
"جهزي نفسك، عندي ليكي مفاجأة".  
سألته:

“مفاجأة إيه؟”  
ردّ وهو يضحك:  
“لو قلتك تبقى مش مفاجأة، صح؟”

---

أخذها إلى حديقة الأزهر.  
كان الجو هادئاً، والسماء صافية، والنيل في الأفق يلمع كأن المدينة كلها تبتسم.  
جلسا على مقعدٍ خشبيّ تحت شجرة كبيرة، والهواء يحرك أوراقها بخفة.  
أخرج من حقيبته مجلداً كبيراً عليه عنوان مكتوب بخط يده:  
“وجوه القاهرة – إصدار أول.”

فتحت سحر الصفحات ببطء.  
كانت كل صفحة تحمل صورة من مشروعه الكبير، وأسفلها تعليق بسيط بخطه.  
لكن الصفحة الأخيرة كانت مختلفة؛  
صورة لسحر وهي تضحك في أحد شوارع وسط البلد — لم تكن تعرف أنه التقطها في آخر مرة  
خرجا فيها سوياً.  
أسفل الصورة كانت هناك جملة قصيرة:

“الصورة اللي علمتني إن كل ضوء محتاج سبب.”

نظرت إليه بدهشةٍ ودموعها تتلألأ:

“معاذ... دي صورتني؟”

ردّ بخجلٍ جميل:

“أيوه.”

بس مش عشان جمالك... عشان ضحكك كانت أول حاجة خلّتي أصدق إن النور ممكن يكون  
إنساني.”

لم تتمالك نفسها، وضحكت وسط دموعها:

“يا مجنون... أنت فاهم أنا هعيّط ولا أضحك؟”

قال ضاحكاً:

“اعلمي الاتنين، أصل الصورة دي متصورة كده بالضبط: ضحكة فيها دمة.”

---

منذ ذلك اليوم، شعر معاذ أن حياته بدأت تتغيّر فعلاً.  
المعرض الكبير أثار اهتمام الصحافة، وبدأ اسمه يظهر في مقالاتٍ ومواقع.  
لكن الغريب أنه لم يشعر بالغرور كما تخيل، بل شعر بالهدوء.

لأن نجاحه لم يكن انتصارًا على أحد، بل كان إثباتًا لنفسه أولاً... ولسحر ثانيًا...  
أنه قادر على أن يبني عالمه دون أن يفقد قلبه في الطريق.

وفي أحد الأيام، اتصلت به والدتها.  
كانت تلك المرة الأولى التي تتصل به وحدها.  
قالت له بصوت هادئ مليء بالاحترام:

“يا معاذ، شُفت صورتك في الجرنال.  
أنا فخورة بيك، والله.”

لم يصدق أذنيه للحظة.  
قال بامتنانٍ حقيقي:

“ده من ذوقك، يا طنط.  
بس الفضل لسحر، هي اللي خلّنتي أكمل وقت كنت همشي.”  
ضحكت الأم وقالت:

“باين إنك مش بس مصوّر، باين إنك حافظها أكثر من الصور.”

---

في تلك الليلة، خرج معاذ وسحر إلى الكورنيش كعادتهما.  
لكن المرة دي كان الوضع مختلفًا؛  
لم يكونا مجرد عاشقين يتحدثان عن المستقبل،  
بل شريكين في طريق واحد أثبتنا أنه ممكن رغم الصعوبات.  
قالت له وهي تمسك بيده:

“عارف يا معاذ،  
أنا كنت زمان بخاف عليك من التعب،  
دلوقتي بقيت بحبه فيك... لأنك بتتعب وانت مؤمن إنك هتوصل.”  
ردّ مبتسمًا:

“وأنا وصلت فعلاً.”  
سألت بخفة:  
“فين؟”  
قال وهو ينظر لعينيها:  
“هنا.”

سكنت لحظة، ثم قالت بابتسامةٍ خجولة:

“بس لسه الطريق طويل.”  
قال بثقة هادئة:  
“أنا مش عايز الطريق يخلص، طول ما إنت فيه.”

---

في نهاية اليوم، كتب في دفتره:  
“إثبات الذات مش إنك تبقى مشهور،  
إثبات الذات إنك تفضل نفسك وانت بتكبر.  
سحر كانت مرآتي،  
لما كنت بضيع في الزحمة، كانت ترجعني بشوية كلام بسيط.  
وده اللي خلاني أفهم إن النجاح من غير حد يصدقك...  
ناقص ضوء.”

---

## الفصل الثامن

### الاقتراب العائلي

بعد شهورٍ من النجاح والهدوء، بدأت ملامح جديدة ترتسم في حياة معاذ وسحر.  
كان الحب بينهما قد تجاوز مرحلة العاطفة المجردة،  
وأصبح أكثر شبيهاً بالسكينة—  
سكينة شخصين أدركا أن الحكاية لا تُقاس بكمية الكلام، بل بصدق الموقف.

في تلك الفترة، كان معاذ يشعر أنه أخيراً صار “جاهزاً”.  
عمله استقر، اسمه بدأ يظهر في الوسط الفني،  
وحتى والدتها — التي كانت متوجسة في البداية — أصبحت تتحدث عنه أمام الأقارب بنبرة فخر  
خفية لا تخطئها الأذن.

وفي إحدى الأمسيات، بينما كانا يجلسان على مقهى صغير في الزمالك،  
قال لها معاذ بصوتٍ جاد لكنه دافئ:

“سحر، أنا عايز أقرب خطوة.

مش بس بيني وبينك... بيني وبين أهلك.  
عايز أزورهم تاني، بس المرة دي مش كضيف.  
عايز أدخل بيتكم وأنا باين قصدي من البداية”.

سكنت قليلاً، نظرت إليه بعينين مليئتين بالدهشة والفرح والخوف في آنٍ واحد.  
ثم قالت:

“إنت متأكد يا معاذ؟

ماما هتفرح، بس كمان هتخاف علي”.

ابتسم وقال بثقة هادئة:

“أنا جاي عشان أطمئنها مش أخوفها.

وأطمئني إنتي كمان”.

مرّت الأيام التالية بسرعة، لكنها كانت مليئة بالترقب.

كانت سحر تتحدث مع والدتها بلطفٍ وتمهيدٍ حذر:

“ماما، معاذ عايز يجي يشوفك ويشوف بابا، عايز يتكلم معاكم بخصوص رسمي شوية”.

نظرت الأم إليها مطولاً قبل أن تقول:

“هو صادق، وأنا عارفة...  
بس الحياة مش سهلة يا بنتي، واللي يدخل بيتنا لازم يكون عارف معنى الكلمة دي.”  
قالت سحر بثقةٍ لم تعهد لها فيها أمها من قبل:  
“هو عارف، وعشان كده جه.”

في مساء الجمعة، وقف معاذ أمام مرآته يرتب ياقة قميصه للمرة العاشرة.  
لم يكن خائفاً، لكنه كان يريد أن يظهر بصورة تليق بالموقف.  
اشترى ورداً بسيطاً — ليس باقة فخمة، بل زهور بيضاء صغيرة تشبه ذوق سحر —  
وأخذ علبة شيكولاتة أنيقة.

حين وصل إلى البيت، استقبلته الأم بابتسامةٍ مريحة هذه المرة،  
ثم نادّت على الأب.  
كان والد سحر رجلاً هادئ الطباع، صوته عميق،  
نظراته تحمل هيبة الشخص الذي اعتاد أن يُختصر في كلمة واحدة: “محترم.”  
جلسا في الصالة، والجو مشحون بخليط من الترقب والارتياح.  
بدأ معاذ الحديث دون تردد:

“أنا جيت النهارده عشان أتكلم مع حضرتك بصراحة.  
أنا وسحر بنحب بعض، وعايزين نبدأ خطوات جدية.  
أنا مش جاي أقول كلام حلو،  
أنا جاي أقول نية صافية وواضحة.  
يمكن ظروفى بسيطة، بس تعبي حقيقي.”  
نظر إليه الأب للحظات طويلة ثم قال:

“كلامك محترم يا معاذ.  
بس أنا راجل بحب أفهم الطريق قدامى شكله إيه.  
أنت ناوي تمشي إزاي؟”

قال معاذ بثقةٍ هادئة:

“أنا بدأت أشتغل بشكل ثابت،  
وعندي مشروع تصوير مستمر مع جهة إعلامية.  
بحاول أكون نفسي،  
وهدف حياتي إنى أعيش أنا وسحر بكرامة، مش برفاهية.”  
كان صوته صادقاً إلى حد جعل الأب يبتسم ابتسامة خفيفة.  
قال له:

“الكرامة أهم من الرفاهية يا ابني، بس كمان لازم تبقى عارف إن الكرامة محتاجة تعب كبير.”  
ردّ معاذ فوراً:  
“وهتعب، يا عمّ سحر.  
بس أنا عمري ما هخليها تشيل التعب لوحدها.”

---

تدخلت الأم بابتسامة:

“أنا مش ضدّ أي حاجة بينكم،  
بس نفسي أشوف بنتي مطمئة دايماً.  
وسحر بنت حساسة، محتاجة راحة بال أكثر من أي حاجة.”  
قال معاذ بصدق عميق:

“وهتكون مطمئة.  
يمكن الدنيا مش دايماً بتضحك،  
بس طول ما أنا موجود، هتضحكها هي.”  
كان كلامه بسيطاً، لكنه خرج من قلبه،  
فأحدث أثراً لم تصنعه كل الكلمات المنمقة التي قالتها شخصيات كثيرة في حياتهم.

---

بعد الزيارة، خرج معاذ وسحر يتمشيان في الشارع بجوار البيت،  
والليل ساكن، والمصابيح تضيء الرصيف بلونٍ ذهبيّ دافئ.  
قالت له وهي تضحك من فرط الارتياح:  
“أنا مش مصدقة إن بابا ضحك.”  
ضحك وقال:

“ولا أنا. بس باين عليا كنت لابس حظي النهارده.”  
قالت بخفةٍ وهي تمسك بذراعه:  
“لا، كنت لابس صدقك.”

---

مرت الأيام التالية في هدوء،  
لكن شيء جميل بدأ يتغيّر:  
العائلتان أصبحتا تعرفان بعضهما،  
والزيارات الصغيرة بدأت تحدث بشكل طبيعي،  
وموضوع الارتباط الرسمي لم يعد حلمًا مؤجلاً، بل مشروعًا قريبًا.

في إحدى الزيارات، قدم معاذ للأب والأم ألبومًا صغيرًا من صورهِ الفنية، وقال وهو يناوله للأب:

“أنا بعرف أعبر بالنور أكثر من الكلام، فخلّيني أقدم نفسي كده”.

فتح الأب الألبوم، وأخذ يتصفح الصور بصمتٍ وتأمل.

كانت كلها لوجوهٍ مصريةٍ بسيطة:

صياد عجوز، بائعة خضار، طفل يضحك، وامرأة عجوز تصلي.

وفي آخر صفحة، وجد صورة لعائلة صغيرة تمسك الأيدي وتنظر إلى البحر.

تحت الصورة كانت جملة كتبها معاذ بخط يده:

“البيت مش جدران... البيت هو اللي نختاره ونحافظ عليه”.

حين أنهى الأب التصفح، رفع رأسه وقال بنبرةٍ فيها دفء خفي:

“واضح إنك مش بس مصوّر يا معاذ...”

واضح إنك شايف الحياة بعمق”.

ابتسم معاذ بهدوءٍ وقال:

“أنا شوفت سحر، يا عم... ومن بعدها الحياة بقت ليها عمق”.

ضحكت الأم من العبارة رغم جديتها،

وقالت لسحر بعد خروجه:

“الولد ده كلامه بسيط، بس يطمئن.

تحسبه من الناس اللي لما يقول (إن شاء الله) بتصدقها”.

---

في تلك الليلة، اتصلت سحر بمعاذ وقالت بصوتٍ مفعمٍ بالفرح:

“بابا قاللي النهارده جملة غريبة أوي...”

قاللي: الرجل اللي بيحترمك في غيابك أكثر من وجودك هو اللي يستحقك”.

سكت معاذ قليلًا، ثم قال بخفوتٍ مفعمٍ بالعاطفة:

“يبقى أهو بدأ يطمئن”.

قالت وهي تضحك:

“وبدأ يحبك كمان”.

قال:

“يبقى أنا كسبت أول معركة في حياتي”.

---

مرت شهور قليلة،  
والقرب بينهما صار جزءاً من حياتيهما اليومية.  
صار معاذ يزور البيت باستمرار،  
يجلس مع الأب يتحدثان عن التاريخ والسياسة،  
ويضحك مع الأم على برامج التلفزيون المسائية،  
ويُساعد سحر أحياناً في ترتيب الكتب القديمة في مكتبتها.  
كانت هذه اللحظات البسيطة كافية لتجعله يشعر أنه لم يعد زائراً في حياتهم،  
بل واحداً منهم.

وفي إحدى الليالي،  
أثناء جلوسه مع والدها في الشرفة،  
قال الأب فجأة دون مقدمات:

“يا معاذ،  
اللي بيحب بنتي وعازب يعيش معاها لازم يكون صديقها قبل ما يكون راجلها.”  
قال معاذ بابتسامة صافية:  
“هي أصلاً كانت صديقتي قبل ما تبقى حبيبتي.  
وده اللي خلى الحكاية تكبر صح.”  
ابتسم الأب وقال:  
“يبقى كملوا كده.”

---

وفي نهاية الليلة، كتب معاذ في دفتره:

“الاقتراب من العيلة مش مجرد خطوة في طريق الجواز،  
ده اختبار لحقيقة الحب نفسه.  
لأن الحب اللي ميقدرش يعيش في النور...  
هيموت في أول ظل.”

---

ومنذ تلك الليلة،

لم يعد بين معاذ وسحر أي غموض أو خوف من الغد.  
كانت العائلتان تتقارب، والقلوب تهدأ،  
وكل شيء حولهما صار يشير إلى أن الطريق، وإن كان طويلاً،  
إلا أنه صار ممهداً بخطوات صادقة،  
تسير بثقة نحو الحلم الكبير الذي اقترب جداً من أن يتحقق.

## الفصل التاسع

### لحظة اشتباه

الهواء في القاهرة تلك الليلة كان غريبًا.  
نسمات خفيفة تحمل معها رائحة الغبار الممزوجة برائحة البنّ،  
وضجيج الشوارع يختلط بموسيقى بعيدة قادمة من شرفةٍ ما.  
لكن داخل قلب سحر لم يكن هناك أي انسجام.  
منذ يومين، شيء ما تغيّر في لهجة معاذ.  
لم يكن باردًا، لكنه لم يعد كما كان.  
الاهتمام صار أقصر، الرسائل أقل،  
والضحكة التي كانت تطمئنها أصبحت تختفي خلف إجابات مقتضبة.  
كانت تحاول أن تُقنع نفسها أن السبب هو ضغط عمله في المشروع الجديد،  
لكن تلك الغريزة الأنثوية التي لا تخطئ،  
كانت تهمس لها في الليل:  
“فيه حاجة مش طبيعية يا سحر”

في مساءٍ رماديٍّ من مساءات نوفمبر،  
كانت سحر عائدة من دار النشر حين رأت صدفةً—  
صورة على مواقع التواصل الاجتماعي، منشورة على صفحة إحدى زميلاتهما القديمة.  
الصورة التُقطت في افتتاح معرضٍ فنيٍّ كبيرٍ في الزمالك،  
وفي الخلفية، واضح تمامًا وجه معاذ...  
يقف بجانب فتاةٍ أنيقةٍ ترتدي فستانًا أسود، وتضحك له بارتياح.  
لم يكن الموقف غريبًا في ظاهره،  
لكنه بالنسبة لها كان كفاية لتَهزّ توازنها.  
فتاة لا تعرفها، قريبة جدًا منه،  
ونظرة بينهما جعلت قلبها ينقبض.  
جلست سحر على السرير، تحدّق في الشاشة لدقائق،  
بينها وبين نفسها آلاف الأسئلة:  
من دي؟ ليه مكلمنيش إنه راح المعرض؟  
وليه الصورة دي بالذات باينة فيها الضحكة دي؟

ترددت كثيرًا قبل أن تراسله،  
ثم كتبت أخيرًا بخفوتٍ مزيجٍ من الغيرة والخوف:

“كنت في معرض النهارده؟  
شفت صورتك مع واحدة... شكلها صاحبتك؟”

مرّت ساعات طويلة دون رد.  
كانت أطول ساعات مرّت في حياتها.  
كل دقيقة كانت كفيّلة أن تبني جدارًا من القلق في صدرها.  
حتى جاء رده بعد منتصف الليل:

“آه، كنت هناك.  
دي زميلة من الشغل الجديد.  
ليه؟”

قرأت الرسالة أكثر من مرة.  
لم تعجبها نبذة البرود فيها.  
كتبت له:

“ولا حاجة... بس كنت حابة أعرف.”

ثم أغلقت الهاتف، ونامت بعينين مفتوحتين.

---

في اليوم التالي، لم يتصل بها.  
ولا هي حاولت.

كانت بينهما تلك المسافة الصغيرة التي لا تُرى،  
لكنها تُشعر القلب بالاختناق.

وفي المساء، رنّ هاتفها أخيرًا، اسمه على الشاشة.  
ترددت لثوانٍ قبل أن تردّ.

قال بصوته المعتاد لكن نبرته مختلفة:

“مالك؟ ليه الصوت متغير كده؟”

قالت ببرودٍ مصطنع:

“مفيش.”

قال:

“يعني عشان صورة؟ يا سحر،  
البنّت دي بتشتغل معايا في الحملة الجديدة،

وكانت بتسألني على العدسة اللي استخدمتها.  
المصور اللي كان هناك هو اللي صورنا، مش أنا اللي طلبت."

سكتت قليلاً، ثم قالت بصوتٍ منخفض:

"أنا عارفة، بس... الصورة وجعتني."

قال بهدوءٍ شديد، أقرب إلى العتاب:

"لو كل صورة وجعتك، يبقى إحنا مش هنكمل.

أنا عمري ما خبيت حاجة عنك، بس مش كل حاجة لازم تتفسر غلط."

كلماته كانت منطقية، لكنها دخلت قلبها مثل سكين.

لأنها لم تكن تشكّ فيه بقدر ما كانت تخاف من فقده.

---

انتهت المكالمة بصمتٍ بارد.

لكنهما كانا يعلمان — كلٌّ بطريقته —

أن الحب الحقيقي لا يُكسر من لحظة غضب،

لكنه يتألم منها طويلاً.

جلس معاذ في شرفته تلك الليلة،

يضع الكاميرا على الطاولة، وينظر إلى صورتها في هاتفه.

شعر بأنه لأول مرة منذ بدأ يحبها،

لم يعرف كيف يعبر لها عن صدقه.

كتب رسالة طويلة، ثم مسحها.

ثم كتب أخرى:

"سحر، أنا آسف إن الصورة وجعتك،

بس كنت أتمنى قبل ما تحكمني، تسأليني وأنا قدامك.

أنا عارف إنك بتحبيني بصدق،

بس عايزك تثقي إني لو كنت غلطت،

مكنتش هخبني.

أنا بحارب عشان حياتنا، مش عشان صور."

أرسلها وأغلق هاتفه.

---

في اليوم التالي، فتحت سحر الرسالة دون أن ترد.  
قرأت الكلمات ببطء،  
ثم أغلقت الهاتف ودمعة صامتة انزلت على خدها.  
كانت بين نارين:

الشك الذي يوهمها بالخدلان،  
والحب الذي يقنعها أن تسامح.

وبعد ثلاثة أيام من الصمت،  
قررت أن تنهي الغموض.  
اتصلت به وقالت ببساطة:

“قابلي النهارده”.

قال:

“فين؟”

قالت:

“في أول مكان اتقابلنا فيه”.

---

حين رآها في المقهى القديم على النيل،  
كان الجو غائماً، والمدينة مغطاة بضباب خفيف.  
جلست مقابله بصمت.  
لم يتحدث أحدهما في البداية.  
ثم قالت:

“كنت مخنوقة، مش عشان الصورة،  
عشان حسيت إنك بقيت بعيد من غير ما تشرح”.

نظر إليها وقال بهدوء مؤلم:

“وانا كنت متألم، مش عشان شكيتي،  
عشان حسيت إنك نسييتي أنا مين”.

سكتت قليلاً، ثم قالت:

“أنا آسفة يا معاذ”.

قال:

“وأنا كمان آسف،

بس خلينا نتفق... الثقة بيننا هي الأهم.  
لو ضاعت، هنضيع إحنا كمان".

ابتسمت وسط دموعها وقالت:

"هنتعلم".

مدّ يده بهدوءٍ،  
ولأول مرة منذ أيام، تشابكت أصابعهما من جديد.  
كانت تلك اللحظة أعمق من أي وعد.  
لأنها لم تكن مجرد مصالحة،  
بل ميلاد جديد للحبّ بعد اختبارٍ صعب.

---

في تلك الليلة، كتب معاذ في دفتره:

"الشكّ زي الغبار..."

بيتراكم بصمت،

ولو ما نظفنا هوش بالصدق،

يخنق النور".

"وسحر..."

كانت أول مرة أشوف دموعها بسببي،

بس كانت كمان أول مرة أحسنّ إني خسرت نفسي وأنا بوجعها".

---

ومنذ ذلك اليوم، تغيّر شيءٌ بينهما—

صار الحوار بينهما أعمق،

وصارت كلمة "أنا واثقة فيك"

أعلى من أي "بحبك".

الاختبار الذي كاد أن يفرّق بينهما،

تحول إلى جسرٍ جديدٍ من الفهم.

فهمٌ لا يأتي من الكلمات،

بل من التجربة، من الألم،

ومن الإصرار على ألا يُهدم ما بُني بصدق.

---

---

## الفصل العاشر

### اختبار الاحتفال

مرّت أسابيع بعد لحظة المصالحة، كأن الله أراد أن يمنحهما هدوءًا بعد العاصفة. صارت لقاءاتهما أكثر دفئًا وصدقًا؛ لم يعودا يخجلان من الحديث عن خوفهما، عن ما يؤدي وما يُطمئن.

سحر تعلمت أن تسأل قبل أن تتألم،  
ومعاذ تعلم أن يشرح قبل أن يصمت.  
الاثنان تغيّرا، لكن التغيير هذه المرة كان في الاتجاه الصحيح.

ذات مساء، تلقّت سحر دعوة من إحدى صديقاتها القديمة لحضور حفل زفاف في فندقٍ مطلٍ على النيل.

كانت تلك الصديقة تعرف معاذ أيضًا من أيام الجامعة، فدعتهما معًا، دون أن تدري أن هذا سيكون اختبارًا جديدًا،  
اختبارًا من نوعٍ مختلفٍ... اختبار الفرح.

---

في يوم الحفل، وقفت سحر أمام المرأة تختار فستانها بترددٍ طفولي. لم تكن معتادة على المناسبات الصاخبة، لكنها أرادت أن تبدو جميلة بطريقتها الخاصة. اختارت فستانًا أزرق داكنًا يشبه لون السماء بعد الغروب، تركت شعرها منسدلاً بخفة، وضحكت لنفسها حين تذكّرت كيف كان معاذ يصف شعرها دائمًا بأنه "ضوء ناعم يهرب من الكاميرا".

حين وصلت القاعة، كان معاذ في انتظارها عند الباب. كان يرتدي بدلة رمادية بسيطة، وربطة عنق داكنة. لكن عينيه كانتا كعادتهما — أول ما يراها، تبسّم تلقائيًا. قال لها بخفة:

"الليلة دي، الكاميرا مش معايا... بس عينيّ كفاية".

ضحكت بخجل، وهي تحاول أن تُخفي ارتباكها،  
لكن قلبها كان يخفق بفرح صادق.

---

في الداخل، كانت الأصواء تتراقص على الجدران، والموسيقى تعزف نغماتٍ مألوفة تُعيد الذكريات القديمة.

جلسا معًا على طاولة قريبة من الممر المؤدي إلى المسرح.  
كان الزحام من حولهما، لكنهما كانا يشعران كأن العالم ضاق عليهما وحدهما فقط.

خلال الحفل، تقدّمت إحدى الصديقات نحوهما وقالت بسعادة:

“إنتوا الاتنين شكلكم جميل أوي سوا... ”

واضح إن القصة بينكم بقت حقيقية.”

ضحكت سحر بخجل، بينما نظر معاذ إليها نظرة طويلة،  
ثم قال:

“حقيقية أوي... بس مش سهلة.”

تلك الجملة الصغيرة لخصت كل ما مرا به.

---

مع تقدّم الحفل، بدأ الرقص والضحك يملأ القاعة.  
أمسك معاذ يد سحر وقال بخفة طفولية لم ترها فيه من قبل:

“تعالى، نرقص ولو لدقيقة.”

نظرت إليه بارتباك:

“أنا معرفش أرقص!”

قال مبتسمًا:

“ولا أنا، بس نعرف نحسن.”

اقترب منها بهدوء،

لم يلتصقا كثيرًا، لكن المسافة بينهما كانت كافية لتجعل القلوب تتحدث.

كانت الأضواء تتحرك فوقهما كأنها نجوم صغيرة،

وسحر تضحك بخجل وهو يحاول أن يتبع الإيقاع بجهلٍ ظريف.

قالت له وسط الموسيقى:

“حاسة إننا في مشهد من فيلم.”

قال مبتسمًا:

“بس الفيلم بتاعنا ملوش مخرج... إحنا اللي بنكتبه.”

---

حين انتهت الموسيقى، جلسا مجددًا.  
كانت عيناها تلمعان بفرح لم تعرفه منذ زمن،  
وقال لها وهو ينظر إلى النيل من خلف الزجاج:

“عارفة يا سحر؟  
يمكن كل اللي فات كان ضروري عشان نوصل للحظة دي.  
الفرح الحقيقي مش لما نضحك،  
الفرح لما نرتاح.”

قالت وهي تمسك يده:

“ولما نصدق إننا نستحق السعادة، حتى بعد ما نتعب.”

صمت لحظة، ثم قال:

“تعرفي، كنت طول عمري فاكر إن الاحتفال حاجة بتتعمل مرة بعد النجاح...  
بس اكتشفت إن كل لحظة بنسامح فيها بعض،  
هي احتفال.”

---

في تلك الليلة، بعد انتهاء الحفل،  
خرجا يتمشيان في الممرّ المظل على النيل.  
القاهرة كانت مبللة بالندى، والأضواء تعكس وجهيهما في الماء.  
وقفا عند السور الحجري،  
وسحر أسندت رأسها على كتفه دون أن تتكلم.

قال معاذ بصوتٍ خافت:

“بحبّ اللحظات اللي مفيهاش كلام...  
بتحسّسك إن الروح بتفهم لوحدها.”

قالت وهي تبسّم:

“وإنت كل يوم بتثبّتي إن الكلام مش مهم... المهم اللي وراه.”

---

لكن الحياة لا تترك أحدًا بلا تذكيرٍ صغير.  
حين كانا في طريق العودة، تلقى معاذ اتصالاً من مدير المشروع يخبره أن موعد السفر لتصوير  
جديد تم تقديمه.

كان عليه أن يسافر خلال يومين إلى الأقصر لمدة أسبوع.

صمت للحظاتٍ وهو ينظر إلى سحر.

قالت بسرعةٍ قبل أن يتحدث:

“روح يا معاذ.

ما تخافش، أنا مش هخلي الشغل يبقى غريم تاني بينا.”

ابتسم بإعجابٍ ودهشةٍ في الوقت نفسه.

“بجد؟ مش هتزعلي؟”

قالت بثقةٍ ناعمة:

“اتعلمت أفرحك من غير ما أخاف”.

كان جوابها أبسط مما توقَّع،

لكن وقعته على قلبه كان أثقل من ألف وعد.

---

سافر معاذ إلى الأقصر،

وهناك، وسط المعابد القديمة ونهر النيل الممتدّ كالحم،

كان يشعر أن قلبه مازال هناك في القاهرة،

في تلك الرقصة الصغيرة، وتلك الضحكة التي لم تخرج من ذهنه.

أرسل لها صورة للنيل وقت الغروب وكتب تحتها:

“كل نيل بيودّي للنيل...”

زي ما كل طريق بياخدني ليكي”.

ردت عليه برسالة قصيرة لكنها دافئة:

“وكل انتظار بيرجع بفرحة لما توصل”.

---

حين عاد من السفر، لم يحتفلوا في مطعمٍ أو كافيهٍ فاخر.

بل جلسا على السور القديم للكورنيش، يأكلان فشارًا ويضحكان.

كانت سحر تحكي له عن أيام غيابه بتفاصيلها الصغيرة،

وهو يستمع بشغفٍ كأنه يسمع حكاية لم يعرفها من قبل.

قالت في نهاية الحديث:

“كل مرة بتمشي، بتعلمني أفرح برجوعك أكثر”.

قال وهو ينظر لعينيها بعمقٍ حقيقي:

“وكل مرة برجع، بتأكد إنك بيتي”.

---

في تلك الليلة، كتب في دفتره:

“الاحتفال مش دايمًا موسيقى وأضواء،  
ساعات بيكون في كلمة، في نظرة، في نفسٍ مشترك.  
وسحر...  
كانت هي فرحتي اللي بتتكرر كل مرة من غير ما تملّ”.

---

ومنذ ذلك اليوم،  
لم يعد الفرح بينهما حدثًا ينتظرانه،  
بل أسلوب حياةٍ صغيرٍ يصنعه معًا كل صباح.  
ضحكة، نكتة، كوب شاي، رسالة في منتصف النهار—  
أشياء تبدو تافهة، لكنها كانت عندهما  
دليل أن الحب لا يُقاس بالمناسبات،  
بل بالاستمرار رغم التعب،  
وبالفرح اللي يعرف يعيش بعد العاصفة.

---

---

## الفصل الحادي عشر

### قرارات العمل والحياة

كان الشتاء قد بدأ رسمياً.  
الهواء بارد، والشوارع بعد المطر تلمع كأنها مبلّلة بالذكريات.  
في كل صباح، كانت القاهرة تستيقظ ببطءٍ تحت سماء رمادية،  
ومعاذ يسير بكاميرته إلى الاستوديو الجديد الذي بدأ العمل فيه مؤخراً.  
نجاحه الأخير فتح أمامه أبواباً كثيرة،  
لكنه أيضاً فتح باباً لم يكن متوقفاً:  
باب الخيارات الصعبة.

في إحدى الأمسيات، بينما كان ينهي ترتيب صورته في المعرض،  
جاءه اتصال من رقمٍ دوليٍّ غريب.  
تردد قبل أن يجيب،  
لكن الصوت الذي سمعه غير مجرى تفكيره كله.

“أستاذ معاذ؟ أنا مايكل روبرتس من مؤسسة الفنّ المعاصر في باريس.  
شُفنا أعمالك في حملة روح القاهرة،  
وعايزين نعرضك صور في معرض مشترك خلال الصيف.  
المشروع هيستمر حوالي ست شهور”.

ساد صمت قصير.  
قلبه دقّ بعنف.  
هو... باريس؟  
فرصة عمره التي كان يحلم بها منذ كان طالباً!  
ردّ بصوتٍ حاول أن يبقيه ثابتاً:

“شرف كبير طبعاً... بس ست شهور؟!”  
قال الرجل:

“نعم، لازم تكون هنا للإعداد والتصوير... نغطي مدن أوروبا من منظور عربي”.  
أنهى المكالمة وهو يشعر كأنه بين جناحين لا يعرف أيهما يطير وأيهما يكسر.

---

في تلك الليلة، جلس مع سحر في المقهى الذي صار شاهداً على كل تفاصيل علاقتهما.  
الجو بارد، والكراسي المعدنية باردة أكثر.  
كان شاردًا، وهي تلاحظ ذلك.

قالت بخفةٍ تخفي قلقها:

“إيه يا مصوّر الصدف، وشك في إيه؟”

ضحك بخفوت وقال:

“في صدفة كبيرة المرة دي.”

قالت وهي ترفع حاجبها:

“قول بسرعة قبل ما قلبي يقع.”

أخبرها بكل شيء، من المكالمة إلى العرض، إلى حيرته بين السفر والبقاء.

سكنت لدقائق طويلة.

كانت تحاول أن تستوعب المعنى الكامل.

سنة أشهر تعني غيابًا طويلًا، تعني غربة،

تعني أن تحاول النوم على أصوات المدن الغريبة، دون أن يكون صوتها آخر ما يسمعه.

قالت أخيرًا بصوتٍ مبجوح:

“ست شهور... يعني نص سنة.

مش قليلة يا معاذ.”

قال:

“عارف،

بس كمان مش كل يوم بيتفتح الباب ده.”

سكتنا.

كان كل منهما يعرف أن المسألة ليست في المسافة،

بل في الخوف من أن تغيّر المسافة ما بين القلوب.

---

في الأيام التالية، عاشا حالة من الترقب المعلق.

كانت المكالمات أقل فرحًا، أكثر تفكيرًا.

سحر لم تكن تجرؤ أن تقول “ما تسافرش”،

لأنها تعرف أن الكلمة دي هتكون ضدّ حلمه.

ومعاذ لم يكن يجرؤ أن يقول “هسافر”،

لأنه يعرف أن القرار ده ممكن يوجعها حتى لو قالت “براحتك.”

كل مساء، كانت تقرأ كتبه المفضلة وتحاول أن تشغل نفسها،  
وهو كان يجلس أمام الكاميرا دون أن يلتقط صوراً،  
كأن عدسة الحياة توقفت عن التركيز.

---

ذات ليلة، قرر أن يواجهها بحسم.  
اتصل بها وقال:

“سحر، عايز أشوفك بكرة الصبح.  
لازم نتكلم بوضوح.”

التقيا في مقهى مطّ على النيل — نفس المكان الذي شهد أول اعتراف بالحبّ بينهما.  
كانت السماء ملبّدة بالغيوم، والموج يتحرك ببطء.

قال معاذ بصوتٍ هادئٍ لكنه حازم:  
“أنا قررت... هسافر.”

شعرت كأن الهواء توقف حولها، لكنها حاولت أن تبتسم.

“تستاهل كل خير يا معاذ.”

قال وهو ينظر إلى عينيها:

“أنا كنت متوقع إنك هتنزعلي.”

قالت بصدقٍ صريح:

“زعلانة طبعاً، بس فخورة كمان.

الحب الحقيقي مش بيحبس،

الحب بيشجع حتى وهو خايف.”

نظر إليها طويلاً وقال بخفوتٍ مؤلم:

“أنا هوحشك.”

قالت وهي تمسك يده:

“وهتفضل جواً كل يوم.”

كانت لحظة قصيرة، لكنها كانت كفيلاً أن تختصر معنى النضج كله—

أن تسمح لمن تحب أن يطير،

وأنت متأكد أنه هيرجع.

---

مرّت الأسابيع التالية بسرعة.  
سافر معاذ إلى باريس،  
وفي المطار كانت وداعهما هادئاً جداً، خالياً من الوعود الطويلة.  
قال لها عند البوابة:

“أنا هرجع وأنا نفس الشخص، بس أحلامي أكبر.”  
قالت وهي تحاول أن تخفي دموعها:  
“وأنا هستنك وأنا نفس البنت، بس قلبي أقوى.”

ابتسم، ثم ابتعد وهو يلوح لها،  
ورائحة المطار تختلط بملح دموعها.

---

في باريس، كان كل شيء جديداً ومبهراً:  
الشوارع المنظمة، الناس الذين لا ينظرون إلى أحد، الضوء المختلف في كل شارع.  
لكن وسط كل هذا الجمال، كان يشعر بشيء ناقص—  
لم يكن يعرف كيف يلتقط صورة “صادقة” دون أن يكون في خياله وجهها.  
بدأ يكتب لها كل مساء رسائل طويلة، يصف فيها المدينة بلغة تشبه الشعر:

“يا سحر،

باريس جميلة، بس البرد فيها غريب.  
الناس هنا مبتضحكش بصدق زي الناس عندنا.  
كل حاجة فيها نظام، بس مفيهاش دفع.

ساعات ببصّ على النيل في الصور اللي عندي،  
وأفكر إزاي كنتي بتسندي راسك على كتفي،  
وساعتها بس بحس إن الدنيا ليها طعم.”

كانت سحر تقرأ الرسائل كل ليلة،  
تضحك وتبكي في الوقت نفسه،  
وتردّ عليه برسائل قصيرة لكنها مليئة بالحب:

“كل ضوء بتصوره هناك،

خليه يوصلك ليا.”

---

مرّت الشهور الستة كأنها عمر.  
كان كل منهما يعيش نصف حياة ينتظر أن تكتمل.

ومع ذلك، لم تضعف العلاقة، بل أصبحت أكثر نضجًا.  
لأن المسافة علمتهما أن الحب لا يُقاس بالوجود الجسدي،  
بل بالحضور الروحي الذي لا يغيب أبدًا.

وفي آخر يومٍ له هناك،  
وقف معاذ أمام برج إيفل في الغروب،  
رفع الكاميرا والنقطة آخر صورة في رحلته.  
كانت السماء برتقالية، والبرج يبدو كأنه حلم بعيد.  
كتب تحت الصورة جملة واحدة أرسلها لها:  
"الصورة الأخيرة... بس البداية اللي جاية".

---

حين عاد إلى القاهرة، كان المساء دافئًا،  
والنيل يستقبله برائحةٍ يعرفها أكثر من أي شيءٍ آخر.  
وفي المطار، كانت سحر واقفةً تنتظره،  
وجهها متعب من الانتظار، لكن عينيها تشعان بطمأنينةٍ عميقة.

حين رآها، لم يقل شيئًا، فقط احتضنها طويلًا.  
كانت تلك اللحظة وحدها كافية لتمحو كل الغياب.

قالت له بعدها وهي تمسح دموعها:

"عرفت يعني إيه السفر؟

مش المسافة بين بلدين...

المسافة بين قلوبين بيحاولوا يفضلوا قريبين".

قال مبتسمًا:

"وأنا عرفت يعني إيه الرجوع...

لما تلاقي نفسك راجع مش للبلد،

لكن للي بتحبه".

---

في تلك الليلة، كتب في دفتره:

"الحياة مش بتسألنا نختار بين الشغل والحب،

هي بتسألنا نعرف نوازن.

وسحر كانت الميزان اللي علّمني  
إن النجاح من غير حدّ ببيصدقك،  
مجرد صورة فاضية”.

---

ومنذ ذلك اليوم،  
لم يعد يخاف من القرارات الصعبة،  
ولا هي تخاف من الغياب.  
لأنهما علما أن كل طريقٍ في الحياة،  
مهما طال أو التوى،  
لا بدّ أن يعود في النهاية إلى النقطة نفسها:

إلى اللقاء.  
إلى الحبّ الذي صمد.  
إلى القلب الذي اختار أن يؤمن رغم كل شيء.

---

---

## الفصل الثاني عشر

### بناء يوميات جديدة

عاد معاذ إلى القاهرة،  
لكن المدينة نفسها لم تعد كما كانت في عينيه.  
كل شارع أصبح له ظل جديد،  
وكل ركن في المقهى القديم صار يحمل ذكرى.  
حتى النيل، الذي طالما صورته كرمز للثبات،  
بدا له اليوم مثل قلب تغير ماؤه، لكنه لم يفقد عمقه.  
منذ عودته، كان يحاول أن يستعيد إيقاع حياته القديمة،  
لكن الغياب الطويل غير داخله شيئاً لا يرى.  
صار أكثر هدوءاً، أكثر ميلاً إلى التأمل.  
لم يعد يتحدث كثيراً،  
بل يختصر كلامه بابتسامة أو نظرة صادقة.  
أما سحر، فكانت تنظر إليه بحب ممزوج بالحدز.  
تراه نفس الشخص،  
لكن بملامح رجلٍ عبر طريقاً طويلاً من التجربة والحنين.

---

في أول أسبوع من عودته،  
أخذها في نزهة إلى نفس الأماكن التي كانا يذهبان إليها قبل السفر.  
الزمالك، كورنيش النيل، كشك العصير الصغير قرب الجسر.  
لكن سحر كانت تشعر أن كل شيء تغير قليلاً—  
ربما لأنهما الآن لا يلتقيان هرباً من الحياة،  
بل ليتقاسماها.

قالت له وهي تشرب عصير القصب بضحكة خفيفة:

“كل حاجة زي ما هي... بس إحنا اتغيرنا”.

قال وهو يبتسم:

“التغيير مش دائماً خوف...”

ساعات هو اللي بيخلي الحكاية تنضج”.

قالت بخفوت:

“بس النضج ساعات بيبعد الناس”.

ردّ وهو ينظر إليها بعمقٍ حقيقي:  
"مش لو النضج كان في نفس الاتجاه".

---

بدأت الأيام تمشي بهدوءٍ جديد.  
سحر رجعت لشغلها في دار النشر،  
ومعاذ بدأ مشروعه الخاص لتأسيس ستوديو تصوير صغير في المعادي.  
قرر أن يسميه "ضوء القاهرة".  
كانت سحر تساعده في تنظيم المحتوى والإعلانات،  
تكتب له العبارات القصيرة التي تصف الصور بلغة بسيطة عميقة.

كانت الحياة بينهما تبدأ تأخذ شكلها الطبيعي:  
صباحات فيها قهوة واتصال سريع،  
وأيام عملٍ مزدحمة،  
ومساءات فيها لقاءات قصيرة أو مكالمة طويلة قبل النوم.  
لكن مع الأيام، بدأت تظهر التحديات الصغيرة—  
اختلاف في طريقة التفكير،  
في الأولويات، في التعبيرات.

---

في إحدى الليالي، كان معاذ يعمل متأخرًا في الاستوديو،  
ولم يردّ على اتصالاتها منذ ساعات.  
حين عاد إلى المنزل، وجد هاتفه ممتلئًا بالرسائل.

"تأخرت ليه؟ قلقانة".

"طب طمني، حتى كلمة".

"بصراحة زعلت".

اتصل بها فورًا.

قال بصوتٍ نادم:

"آسف يا سحر، كنت في تصوير طويل ومكنش في شبكة".

قالت بنبرة متوترة:

"أنا مش بزعل من الشغل، بس ساعات بحس إنك بتنسى إن في حد مستنيك".

سكت قليلًا، ثم قال:

"وانتِ فاكرة إن في دقيقة بعد الشغل مش بفكر فيك؟

بس أنا بحاول أوازن، مش أهرب".

سكتت لحظة، ثم قالت بابتسامةٍ ناعمةٍ رغم ضيقها:

“يعني خلاص تسامحني على النكد؟”

ضحك وقال:

“ده نكد طعمه حلو.”

انتهت المكالمة بالضحك،

لكنها تركت داخله إحساساً جديداً بالمسؤولية.

فهم أن بناء اليوميّات الحقيقية مش سهل،

وأن الحبّ مش وعد رومانسي،

بل صبرٌ يوميّ صغير.

---

مرّت أسابيع،

وافتح معاذ استوديوه رسمياً.

كان اليوم مزدحماً بالضيوف والأصدقاء،

وسحر كانت هناك تساعده بابتسامتها ودفنهما المعتاد.

حين انتهى الحفل الصغير،

اقترب منها وقال وهو ينظر حوله:

“شايفة المكان ده؟

كل ركن فيه فيه معنى بسببك.

دي مش بس بداية مشروع...

دي بداية بيت جديد.”

قالت له مبتسمة:

“بيت فيه صور كتير ومكان صغير للقهوة،

يبقى كده بيتنا فعلاً.”

ضحك وقال:

“اتفقنا.”

---

بدأت علاقتهما تأخذ شكل “الحياة المشتركة” حتى دون زواجٍ رسمي بعد.

كانت تأتيه أحياناً إلى الاستوديو بعد الشغل،

تجلس تقرأ وهو يشتغل،

ثم يتناولان العشاء البسيط في الخارج — فول، أو بطاطس من عربية صغيرة، يتبادلان الحديث عن الناس، عن الأفكار، عن الغد.

قالت له مرة:

“أكثر حاجة بحبها فينا إننا طبيعيين.

مش لازم كل حاجة تبقى مثالية عشان تبقى جميلة”.

قال وهو يضحك:

“وايه الجمال في إننا بنتخاف على نوع الفول؟”

قالت بخفة:

“الجمال إننا بنصالح بعده بسرعة”.

---

لكن رغم الانسجام،

كانت هناك ليالٍ يجلس فيها كلٌّ منهما صامتًا يفكر:

هل ستستمر هذه الوتيرة للأبد؟

هل سيتحول الشغف إلى عادة؟

هل سيظل الحب قويًا أمام تعب الأيام؟

وفي إحدى الليالي، بينما كانا في طريق العودة من السينما،

قال معاذ فجأة:

“سحر، فكرتني قبل كده إزاي ممكن تكون حياتنا بعد الجواز فعلاً؟

يعني بعد الشغل، بعد الروتين، بعد كل ده؟”

قالت:

“أكيد فكرت... ”

بس عارفة؟

أنا مش عايزة أعيش فيلم رومانسي.

أنا عايزة أعيش فيلم حقيقي”.

قال مبتسمًا:

“حتى لو فيه مشاهد باهتة؟”

قالت بثقة ناعمة:

“المشاهد الباهتة بتخلي المشهد اللي بعده يلعب”.

كانت إجابة بسيطة،

لكنها لخصت فلسفة حبهما كلها.

---

في يوم جمعة هادئ، قرر معاذ أن يفاجئها.  
أخذها إلى المتحف القومي للحضارة،  
ثم إلى حديقة الفسطاط القريبة.  
جلسا على العشب، والهواء البارد يمرّ بين الأشجار.  
أخرج من حقيبته ألبوم صور جديد—  
لم يكن للعمل هذه المرة، بل لحياتهما معًا.  
صور من أول لقاء، أول رحلة،  
ضحكتها وهي تأكل فشارًا،  
وصورة لهما تحت المطر قبل السفر.  
قالت بدهشةٍ ودموعٍ خفيفة:

“إنت جمعتها إمتي؟”

قال وهو يبتسم:

“كل مرة كنت بحس إن اليوم ده يستاهل يتوثق،  
كنت أصوره.

كنت عايز لما نبني حياتنا نبقى فاكرين إحنا بنيناها إزاي.”

قالت بخفوتٍ مفعمٍ بالعاطفة:

“يعني كأنك بتكتب روايتنا.”

قال مبتسمًا:

“بكتبها بالنور،

بس إنتِ الكاتبة الحقيقية.”

---

في تلك الليلة، عاد إلى بيته وكتب في دفتره:

“الاستقرار مش نهاية القصة...

ده بداية فصل جديد،

فصل التفاصيل اللي محدش بيثوفها غير اللي بيحبّ بصدق.

سحر علمتني إن الحياة مش دايمًا لحظات كبيرة،

أوقات بتتكون من حاجات صغيرة

بس لما تتجمع، تبقى معنى.”

---

ومنذ ذلك اليوم،

بدأا يعيشان “روتينهما الجميل:”

فنجان قهوة صباحي، رسالة منتصف اليوم،  
زيارة سريعة في المساء،  
ثم حوار طويل قبل النوم.

كانت تلك اليوميّات الصغيرة بمثابة خريطة لحياة حقيقية،  
ليست مثالية، لكنها صادقة—  
والصدق كان كافيًا ليجعلها حياة تستحق أن تُعاش.

---

## الفصل الثالث عشر

### مفاجأة قديمة

كان المساء هادئاً في شوارع المعادي.  
ضوء المصابيح الأصفر ينعكس على الأرصفة المبللة بمطرٍ خفيف،  
والنيل على بُعد شارعٍ واحد يلمع مثل مرآةٍ حزينة.  
جلس معاذ في استوديو «ضوء القاهرة» ويرتّب مجموعة صور جديدة للعرض القادم.  
كانت موسيقى هادئة تنساب في الخلفية، وصوت المطر يتسلّل من النافذة المفتوحة.

كل شيء كان يسير على ما يرام—  
حتى رنّ هاتفه برسالةٍ من رقمٍ مجهول.

"أزيك يا معاذ... زمان جدًا.

شُفتُ صورك في المعرض، فقلت لازم أقولك مبروك.  
على فكرة، لسه فاكرة صورتنا اللي صورتها في رأس البر.  
يومها كنت بتضحك وأنا كنت خايفة من الموج".

تجمّد مكانه.

الاسم لم يُذكر في الرسالة، لكنه عرفه فورًا.  
ميّار.

اسم قديم من حياةٍ سبقت سحر بسنوات.  
كانت فتاة عرفها في بداياته كمصوّر هاوٍ،  
حبّ قصير، جميل، لكنه انتهى فجأة،  
قبل أن يتعلم هو معنى الالتزام، وقبل أن تتعلم هي معنى الوداع.

جلس ينظر إلى الرسالة طويلاً،  
ثم وضع الهاتف على الطاولة،  
كأنه يحمل قنبلة صغيرة لا يعرف كيف يتعامل معها.

في المساء التالي، كانت سحر معه في الاستوديو،  
تساعده في كتابة التعليقات على الصور الجديدة.  
لكنها لاحظت شرودًا غريبًا في عينيه.

قالت بخفة:

“مالك يا معاذ؟ عينك بتسافر كثير النهارده”.

ابتسم ابتسامة متوترة وقال:

“يمكن عشان نفسي أسافر فعلاً”.

قالت وهي تضحك:

“هو السفر وحش؟”

قال بخفوت:

“لأ، بس ساعات بيرجع حاجات كنا نسيناها”.

نظرت إليه للحظة كأنها فهمت أنه يخفي شيئاً.

لكنها لم تسأله.

تعلمت من التجربة أن بعض الأسرار الصغيرة لا تُفتح بالعنف،

بل بالوقت.

---

في اليوم الثالث، وصلته رسالة أخرى من ميار.

“أنا في القاهرة كم يوم بس،

نفسى أشوفك دقيقة لو مافيش مانع.

مش علشان نرجع نحكي القديم،

بس عشان أقول شكراً على الصورة اللي خلتنى أحب البحر بعد ما كنت بخاف منه”.

قرأ الرسالة أكثر من مرة.

كان عقله يقول “لا”،

لكن فضوله المهني كفنان يقول “ليه لأ؟”

أراد أن يغلق الباب بيده قبل أن يُفتح بالصدفة.

فأرسل لها:

“تمام، نتقابل نص ساعة في كافييه الزمالك اللي جنب بيت الفنون،

بس على فكرة أنا مرتبط”.

جاء الرد سريعاً:

“عارفة يا معاذ، وده طبيعي.

أنا مش راجعة، أنا بعدي”.

---

جلسا في المقهى بعد يومين.

الوقت كان عصرًا، والمكان مزدحمًا بالشباب والموسيقى الخافتة.

حين رآها، شعر بمزيج غريب من الحنين والغرابة.  
كانت كما هي تقريبًا، لكن في ملامحها شيء من الهدوء الذي لم يعرفه فيها من قبل.

قالت بابتسامة خفيفة:

“لسه بتحب القهوة السادة؟”

قال:

“ولسه بتخافي من المطر؟”

ضحكت، وقالت:

“اتعلمت منه.”

جلسا يتحدثان عن الفن، وعن الماضي الذي مضى فعلاً.  
لم يكن هناك رومانسية،  
بل حديث ناضج بين شخصين تجاوزا تلك المرحلة منذ زمن.

في نهاية اللقاء، وقفت وقالت له بصدق:

“مبسوطة إنك لسه بتصور بالصدق اللي عرفته فيك زمان.

سحر محظوظة.”

قال وهو يبتسم بهدوء:

“وأنا أكثر.”

ثم غادرت، وتركته مع إحساس غريب بال — closure

أن الماضي، أخيراً، أصبح مجرد صفحةٍ مؤرشفة،

لا أكثر.

---

لكن القدر كان يحب الاختبارات.

في المساء، نشر أحد الحضور في المقهى صورةً عشوائية على السوشيال ميديا —

كانت ميار في الخلفية، ومعاد في مقدمة الصورة،

يبدو كأنه يضحك لشيءٍ قالته.

لم يكن هناك ما يدعو للشك،

لكن الخداع البصري قاتل.

وصلت الصورة إلى سحر عبر صديقةٍ مشتركة.

ظلت تحدق فيها طويلاً،

قلبها يرفض أن يصدق،

لكن عقلها يهمس بخوفٍ قديم:

“هو اللي وعدني إنه هيشرح قبل ما يسكت... ليه سكت؟”

في اليوم التالي، لم تردّ على اتصاله.  
ثم أرسلت له في المساء رسالة قصيرة:

“كنت مع مين في كافيهِ الزمالك؟”

أحسّ بثقل السؤال.  
كان يعرف أن هذه لحظة دقيقة—  
لو تردّد أو تلاعب، سيفقد الثقة التي بُنيت بصعوبة.  
فكتب فوراً:

“كنت مع واحدة زمان اسمها ميار.  
جات القاهرة وقاتلي عايزة تشكرني على حاجة.  
اتقابلنا نص ساعة،  
وخلصت الصفحة.  
مافيش حاجة تتخبّي، بس ماكنتش عايز أوجعك بحاجة ملهاش لازمة”.

لم تردّ.  
وفي الليل، جاءه اتصالها.  
كان صوتها هادئاً جداً، لكنه مكسور قليلاً.  
قالت:

“أنا مش زعلانة إنك شُفقتها،  
أنا زعلانة إنك قررت لوحدك إيه اللي يستاهل أحس بيه وإيه اللي ما يستاهلش”.

صمت طويل.  
ثم قال بصدقٍ مؤلم:  
“عندك حق.  
يمكن كنت خايف أرجّعلك إحساس القلق القديم.  
بس نسيت إن الصدق هو اللي بيظمنك، مش الإخفاء”.

بكت بصمت، ثم قالت:

“أنا مش عايزة أكون صفحة جديدة فوق القديمة،  
أنا عايزة أكون الكتاب كله”.

قال بصوتٍ مبحوح:

“وانتِ فعلاً كده”.

---

في اليوم التالي، جاءها إلى دار النشر دون موعد.  
كان يحمل بيده ظرفاً صغيراً.  
حين رأته، لم تتكلم.  
مدّ الظرف إليها وقال:

“دي الصورة اللي اتكلمت عنها ميار... صورتها زمان،  
بس النهارده قررت أرجعها لأصحابها.  
أنا مش محتاج أحتفظ بحاجة من الماضي.  
كل اللي عايزه قدامي.”

فتحت الظرف،  
وكانت صورة بالأبيض والأسود لفتاة صغيرة تقف أمام البحر.  
نظرت إليه طويلاً، ثم قالت:

“عارف يا معاذ،  
الصورة دي جميلة... بس خلاص، مش بتخصك.”  
ضحك بخفوت:

“ولا حتى البحر ده.”

قالت وهي تقترب منه بخطواتٍ بطيئة:

“ولا الخوف منه.”

اقترب منها خطوة، وقال:

“ولا الرجوع ليه.”

ثم ساد صمت طويل،  
قبل أن تبتسم أخيراً وتقول:

“خلصنا الصفحة فعلاً.”

---

في تلك الليلة، جلس معاذ في شرفته،  
يفتح دفتره الذي أصبح سجلّ حكايتهم الحقيقي.  
كتب فيه:

“الماضي مش بيختفي،  
لكنه بيهدى لما نعرف نخطّه في مكانه الصح.

وسحر...  
كانت أول حدّ يخليني أصدق  
إن الغفران مش ضعف،  
الغفران شجاعة”.

---

ومنذ تلك الليلة، لم يعد الخوف من الماضي يسكن بينهما.  
تحول الصدق إلى قاعدةٍ لا تُكسر،  
وصارت الحكاية أكثر قوة مما كانت عليه.

فما بُني على صدق،  
حتى لو هزّته العواصف،  
لا يسقط.

---

---

## الفصل الرابع عشر

### اختبار الثقة الأكبر

كانت القاهرة تستيقظ على صباح مزدحمٍ كعادتها، لكن داخل استوديو «ضوء القاهرة» كان الصمت هو سيد المكان. معاذ يجلس أمام شاشة الكمبيوتر، يراجع مجموعة صور جديدة التقطها لحملةٍ دعائيةٍ تخص إحدى الشركات الكبرى.

مشروع كبير... حلم كل مصورٍ محترفٍ، لكنه في الوقت نفسه كان أصعب عملٍ في حياته — ليس فنيًا، بل إنسانيًا.

مديرة المشروع الجديد كانت امرأة واثقة، صريحة، قوية الحضور، اسمها ريم. شابة ناجحة في أواخر الثلاثينات، عملت في مجال الإعلانات سنوات طويلة، وتعرف جيدًا كيف تُدير الناس — وأحيانًا تُربكهم.

من أول اجتماع، شعرت سحر — حين حكّت له ريم عن المشروع — أن تلك المرأة ستختبر صبرها، ليس لأنها منافسة، بل لأن الثقة أحيانًا تُختبر بالاحترام، لا بالغيرة.

---

في الأسابيع الأولى من المشروع، كان معاذ مشغولًا للغاية. الاجتماعات لا تنتهي، والسفر إلى مواقع التصوير يوميًا صار عادة. سحر كانت تفهم، لكنها أيضًا كانت تشعر بشيءٍ غامض يقلقها كلما سمعت اسم «ريم» في مكالماته. لم يكن شكًا مباشرًا، بل خوفًا من أن تسرق الحياة منه ذلك التركيز الذي كان دائمًا لها فقط.

ذات مساء، عاد معاذ إلى بيته متعبًا، جلس على الأريكة وفتح هاتفه ليرى رسالة من سحر:

«وحشتني جدًا النهارده.

بس حاسة إنك في عالم تاني مش قادر أطبله».

قرأ الرسالة، ثم كتب ردًا بسيطًا:

«مش في عالم تاني، بس مضغوط.

والله انتي في بالي طول الوقت».

لكنها قرأت الجملة ببرود،  
وكأنها سطر إداري من تقرير.  
لم تكن تعرف أن التعب أحياناً يُفسد نعمة المشاعر.

---

بعد أيام، كانت سحر في دار النشر عندما دخلت عليها زميلتها «مي»،  
تحمل مجلة فنية وتقول بابتسامة مشوبة بالدهشة:

“بصي يا سحر! معاذ متصوّر في العدد ده مع ريم!  
المقال عن مشروعهم الإعلاني”.

أخذت المجلة بيدٍ متوترة.  
على الصفحة الأولى، صورة لمعاذ يقف بجانب ريم أمام خلفية استوديو كبيرة.  
كانت ريم تضحك، ومعاذ يبتسم ابتسامة بسيطة مهنية.  
لكن العيون — تلك التفاصيل الصغيرة —  
كانت كافية لتزرع في قلب سحر شيئاً من الغصة.  
أغلقت المجلة بسرعة،  
وأجلت كل مشاعرها حتى المساء.

---

في الليل، عندما تقابلا في الاستوديو،  
قالت وهي تحاول أن تخفي ارتباكها:

“شُفت صورتك في المجلة”  
ابتسم ببساطة:

“آه، دي كانت من كواليس التصوير”  
سكنت، ثم قالت بخفوت:

“ريم شكلها قريبة منك”  
رفع رأسه بسرعة،

وشعر كأن السكين القديم عاد إلى صدره من جديد —  
ذاك الشك الذي قاتلاه معاً طويلاً.

اقترب منها وقال بهدوءٍ حقيقي:

“قريبة في الشغل، مش في الحياة.

بس أنا مش زعلان منك...

لأنّي عارف اللي في بالك مش غير،  
دي غير خوف”.

نظرت إليه مطولاً، ثم قالت:

“أنا مش عايزة أخاف منك يا معاذ،  
عايزة أحس إن كل اللي فات علّما مشاعر أقوى مش أضعف.”

ابتسم وقال وهو يمسك يدها:

“هتعرفي ده قريب جداً.”

---

في الأسبوع التالي، كانت سحر مدعوة معه في حفل ختام المشروع.  
اختار لها فستاناً بسيطاً بنفسجي اللون،  
وقال لها قبل الحفل بساعتين:

“المكان هيكون مليون ناس، بس أنا عايزك تبقي جنبتي... زي دائماً.”

دخلت القاعة برفقته،

والأضواء القوية تملأ المكان.

حين اقتربت ريم لتحيتهما، مدّت يدها نحو سحر بابتسامة مهذبة:

“أخيراً شُفتك، معاذ بيحكى عنك كثير.”

قالت سحر بخفة دبلوماسية:

“وأنا كمان سمعت عنك كثير،

واضح إنك السبب في نجاح المشروع.”

ضحكت ريم وقالت:

“وهو السبب في إن الصور طلعت بالشكل ده.”

كانت مجاملة طبيعية،

لكن كلماتها دخلت قلب سحر مثل اختبارٍ صغيرٍ من القدر:

هل تثق حقاً؟

التفتت نحو معاذ،

وجدته ينظر إليها بطمأنينة صافية، كأنه يقول بعينه: *أنا هنا.*

ابتسمت ابتسامة صغيرة، وانتهت العاصفة في صدرها قبل أن تبدأ.

---

بعد الحفل، خرجا يتمشيان في شوارع الزمالك المبللة بالمطر.

قالت له وهي تضحك:

“أنا كنت هعيّط وأنا بشوفك في وسط الناس دي”.

سألها بدهشة:

“ليه؟”!

قالت بخفوتٍ صادق:

“مش عشان غيرة... ”

بس لأني أتأكدت إنني فخورة بيك بجد”.

وقف في منتصف الشارع،

وقال بصوتٍ منخفضٍ لكنه عميق:

“عارفة يا سحر،

يمكن أكثر اختبار في الدنيا مش لما الناس تبعد،

لكن لما الدنيا تقرب... وتشوف مين هيفضل ماسك فيك”.

قالت وهي تبتسم:

“وأنا ماسكة”.

قال مبتسمًا:

“وأنا مش ناوي أفلت”.

---

مرت الشهور التالية بهدوءٍ جميل.

مشروع ريم انتهى بنجاح،

ومعاذ بدأ في مشروع شخصي جديد بالتعاون مع دار النشر التي تعمل بها سحر —

فكرة توثيق قصص الناس في القاهرة في كتابٍ مصوّر.

كانت تلك اللحظة رمزًا واضحًا أن العالم قرر يكافئهما بعد كل اختبار.

العمل معًا أعادهما لنقطة البداية —

حيث الفنّ والروح والصدق والضحك البسيط.

لكن الثقة التي وُلدت من رحم الأزمات،

أصبحت الآن صخرة صلبة يقفان عليها.

---

ذات ليلة، وهما يراجعان الصور في شرفة الاستوديو،

قالت له سحر وهي تنظر إلى النيل:

“فاكر لما كنت تقول إن الصور تحفظ اللحظة؟”

قال وهو يبتسم:

“أيوه”.

قالت:

“بس فيه لحظات بتتحفر جواك حتى من غير صورة.  
زي الليلة دي”.

مدّ يده بهدوءٍ ليمسك بيدها،  
وقال بخفوتٍ صادق:

“دي اللحظة اللي مش محتاجة كاميرا.  
لأنها اتصورت في القلب”.

---

في دفتره، كتب في تلك الليلة:

“الثقة مش إنك ماتغلطش،  
الثقة إنك ماتخافش تقول الحقيقة.

الحب مش بيعيش في الضوء بس،  
الحب الحقيقي بيعيش في الظلّ كمان...  
لأنه هناك بيتأكد من نفسه”.

---

ومنذ تلك الليلة،

لم يكن هناك شيء يخيف سحر بعد الآن.

تعلمت أن الماضي لا يخيف،

وأن النساء الأخريات لا يهددن ما بُني على الصدق.

أما معاذ، فتعلم أن أعظم ما في الحب

أنك تكون مرآة أمان لمن تحبّ،

مهما كانت الدنيا مليئة بالأضواء التي تبهت بسرعة.

وهكذا خرجا من اختبار الثقة الأكبر

وهما أكثر يقيناً أن الحكاية التي كتبتها الصدف،

باتت اليوم اختياراً واعياً...

واختيارهم هذه المرة كان الأصدق.

---

---

## الفصل الخامس عشر

### تأثير الصداقة

كانت القاهرة في بداية الربيع،  
والهواء مشبع برائحة الورد والطرق المبللة بندى الصباح.  
الحياة بدت كأنها تعطي فرصة جديدة لكل شيء،  
حتى للحب الذي ظنّه معاذ وسحر قد استقرّ أخيرًا.

لكن الحياة — كالعادة — لا تهدأ إلا لتبدأ اختبارًا جديدًا،  
وهذه المرة، لم يأت الاختبار من الماضي...  
بل من الحاضر نفسه.

---

في ذلك الأسبوع، بدأ معاذ العمل على مشروعٍ فني جديد مع مجموعة من المصورين الشباب.

من بينهم شابة لطيفة تُدعى ليلي —

كانت مرحة، ذكية، ومليئة بالحيوية.

أعجبت بطريقة معاذ في التصوير،

وصارت تتحدث معه كثيرًا عن تفاصيل المشروع، الأفكار، والزوايا البصرية.

كانت طبيعة العمل تفرض تواصلًا مستمرًا بينهم،

واتصالات، ورسائل، واجتماعات.

في البداية، لم يكن في الأمر ما يثير الشك،

لكن كما يحدث دائمًا،

كانت سحر تلاحظ تلك التفاصيل الصغيرة التي لا يراها أحد غير قلبها.

ذات مساء، وبينما كانا يتحدثان في الهاتف،

رنّ إشعار على جهاز معاذ.

قال وهو يبتسم دون قصد:

“دي ليلي، بتسألني عن العدسات الجديدة.”

جاء الردّ في صوت سحر هادئًا جدًّا،

لكنه مكسوّ بطبقةٍ خفيفةٍ من الغيرة:

“واضح إنها قريبة منك في الشغل.”

قال مبتسمًا:

“أه، قريبة في الشغل فعلاً،

بس انتي قريبة في الحياة كلها.”

ضحكت بخفوت، لكنها لم تكن مرتاحة تمامًا.

---

في اليوم التالي، ذهبت سحر إلى الاستوديو لتزوره بعد انتهاء عمله.  
كانت ليلى موجودة،  
واقفة بجانب معاذ أمام شاشة الكمبيوتر تستعرض معه مجموعة من الصور.  
كانت تتحدث بحماسٍ شديد، وهو يبتسم ويشرح.  
حين دخلت سحر، شعر الاثنان بالارتباك البسيط الطبيعي الذي يحدث حين تتقاطع العوالم.  
ابتسمت ليلى وقالت بلطف:

“أهلاً يا سحر! معاذ بيحكينا عن شغلك في النشر.  
ما شاء الله عليكم، باين إنكم فريق جامد.”

ابتسمت سحر بأدبٍ شديد وردت:

“الحمد لله، بنكمل بعض.”

لكنها شعرت من الداخل بوخزٍ صغير في القلب،  
ذلك الوخز الغامض الذي يأتي من رؤية إنسانة أخرى  
تتحدث بحريةٍ شديدة مع الشخص الذي تحبه.

---

في تلك الليلة، جلسا في السيارة أمام بيتها.  
لم تتحدث في البداية.  
نظر إليها معاذ وقال بهدوء:

“اتكلمي يا سحر، عارف إن في حاجة مضايقاكي.”

قالت بخفوتٍ صادق:

“مش زعلانة منك،

بس يمكن مش مرتاحة للي بتحصل.”

سألها بلطف:

“تحسي إنها مهمة بيا؟”

قالت بصراحةٍ مؤلمة:

“يمكن شوية.”

بس أكثر حاجة مضايقاني إنك مش واخذ بالك.”

ابتسم وهو يمدّ يده إليها وقال:

“أنا واخذ بالي جدًا،  
بس الفرق إني مش شايف الخطر اللي انتي شايفاه،  
لأن قلبي مش بيدي فرصة لحد تاني يدخل”.

نظرت في عينيه،  
ورأت فيهما نفس الصدق اللي شافته أول مرة.  
لكنها قالت بخفوت:

“مش خايفة منك...  
خايفة عليك”.  
ردّ بابتسامه دافئة:  
“وأنا لو فقدت خوفك عليّ،  
يبقى فقدت أهم حبّ في حياتي”.

---

مرت أيام قليلة،  
وانتهى المشروع بنجاح.  
ليلي كانت سعيدة بالنتيجة،  
وفي نهاية يوم العمل الأخير،  
قدّمت لمعاذ هدية صغيرة — كاميرا قديمة عتيقة الطراز.  
قالت له بابتسامه بريئة:

“دي كانت بتاعة والدي،  
بس حسيت إنك أحقّ بيها”.

شكرها باحترام،  
لكنه شعر للحظة بقلقٍ داخلي خفيف.  
كان يعرف أن سحر لو علمت بالهدية، ستزعج،  
ليس من الهدية نفسها،  
بل من معناها.

وفي تلك الليلة، حين رآها، قرر ألا يخفي شيئاً.  
قال لها وهو يقدم الكاميرا:

“ليلي جابتلي دي النهارده... كاميرا قديمة”.

نظرت إليها سحر طويلاً ثم قالت ببساطة:

“جميلة”.

ثم أضافت:

“عارفة يا معاذ؟  
اللي بيخلي الهدايا تبقى بريئة مش نوعها،  
لكن نيتنا وإحساسنا وإحنا بنقبلها”.

أحسن أن كلماتها لم تكن مجرد عتاب،  
بل كانت درساً راقياً في الثقة.  
قال وهو يمسك يدها:

“أنا عمري ما قبلت هدية إلا وإنتِ جِوَا قلبي،  
فكل حاجة بتيجي بعدك بتبقى صغيرة”.  
ابتسمت، وغمرهما صمتٌ دافئ.

---

لكن الحياة كانت تُحضّر لهما درساً آخر.  
بعد أسبوعين، اتصلت ليلي بمعاذ في وقتٍ متأخر من الليل.  
كان صوتها مضطرباً:

“أنا في ورطة يا معاذ،  
العربية عطلت في طريق الكورنيش، ومش عارفة أعمل إيه”.  
لم يتردد.

ارتدى معطفه وخرج فوراً.  
ساعدها، ثم عاد إلى بيته بعد منتصف الليل.  
لم يُخبر سحر في اليوم التالي على الفور،  
لكن القدر — كعادته — يحب المفاجآت.  
إحدى صديقات سحر رأته صدفةً تلك الليلة قرب الكورنيش،  
وسألته بابتسامة:

“كنت فين يا فنان؟ الدنيا كانت برد أوي”.

حين حكّت سحر القصة لاحقاً،  
شعرت للحظة بصدمة خفيفة.  
ليست لأنها لا تتق،  
بل لأن الإخفاء الصغير يعيد صوت الماضي القديم إلى الذاكرة.

---



كانت دائماً بتفهم قبل ما أحكي،  
وبتسامح قبل ما أطلب."

---

ومنذ تلك الليلة،  
تغيرت طبيعة علاقتهما مرة أخرى—  
أصبحت أكثر هدوءاً،  
وأكثر وعياً بأن الحب مش دائماً ضدّ الغيرة،  
لكنه محتاج توازن بين القلب والعقل.

سحر صارت تثق أكثر،  
ومعاً صار يشاركها في كل تفصيل،  
حتى الصغيرة منها.  
لم تعد الصداقات تقلقها،  
ولا التعب يطفئه،  
لأنهما أخيراً تعلّما أن الثقة لا تُبنى من الكمال... بل من التفاهم.

---

---

## الفصل السادس عشر

### لحظة الحسم

كانت القاهرة في تلك الأيام تعيش بدايات الصيف،  
والهواء يحمل رائحة الياسمين الممزوجة بغبار المدينة،  
كأنها أنفاس حارة مليئة بالحياة.  
أما داخل روح معاذ، فكان هناك مزيج من الهدوء والتوتر في آن واحد—  
هدوء النضج الذي جاء بعد كل ما مرّ به،  
وتوتر القرار الذي لم يعد يحتمل التأجيل.  
منذ شهور، صارت علاقته بسحر أكثر عمقاً وثباتاً.  
القلق القديم تراجع،  
وصار بينهما تفاهم يراه الناس من بعيد وبيتسمون له.  
لكن السؤال الذي ظلّ يلاحقه كل ليلة كان بسيطاً ومخيفاً:  
“إمتى الوقت الصحّ؟  
وهل في وقت صحّ للحب أصلاً؟”

---

في إحدى الليالي، بعد انتهاء يومٍ طويل في الاستوديو،  
جلس معاذ في شرفته، يشرب القهوة وينظر إلى الشارع الصامت.  
أخرج دفتره الصغير — نفس الدفتر الذي دون فيه كل فصول حياته الأخيرة—  
وكتب بخطّ متردّد:

“الحبّ الجميل محتاج قرار شجاع.  
مش كفاية إننا نكون مرتاحين،  
لازم نختار نكمل.”

ابتسم لنفسه حين قرأها.  
كان يعرف أن هذه الجملة هي بداية صفحة جديدة في الحكاية.

---

في اليوم التالي، قرر أن يزور والد سحر رسمياً.  
لم يُخبرها في البداية — أراد أن يجعلها مفاجأة.  
ارتدى قميصاً أبيض، وبنطالاً داكناً،  
وحمل معه علبة شوكولاتة من النوع الذي تحبّه الأم،  
ووردًا بسيطاً مثل الذي حملة أول مرة زار البيت.

حين فُتح الباب، تفاجأت الأم برويته.  
قال بابتسامةٍ خجولة:

“جيت أطلب من حضرتكم الإذن رسمياً...  
أطلب سحر”.

ارتبكت الأم للحظة، ثم دعت الأب الذي كان يجلس يشاهد الأخبار.  
حين رأى معاذ واقفاً أمامه بتلك الجدية الهادئة،  
أدرك أن الأمر لم يعد مجرد علاقة حبّ.

جلسوا جميعاً، والحديث بدأ رسمياً.  
قال معاذ بصوتٍ هاديٍ لكنه ثابت:

“أنا وسحر بقالنا فترة طويلة مع بعض.  
مررت معها بحاجات كثير، وهي شافتنى في كل حالاتي،  
ووقفت جنبي لما الدنيا كانت مقفلة.  
أنا النهارده جاهز أطلبها رسمي”.

نظر الأب إليه ملياً قبل أن يقول:

“عارف يا معاذ، أنا من أول يوم كنت شايف فيك الجدعنة والنية الطيبة،  
بس الزواج مش بس حب،  
الزواج مسؤولية كبيرة”.

قال معاذ بثقةٍ صادقة:

“عارف يا عمّ سحر، وعشان كده بستأذنكم،  
لأن الحبّ لو ما بقيش مسؤولية، يبقى مجرد كلمة”.

نظرت الأم إلى زوجها، ثم قالت بابتسامةٍ دافئة:

“أنا شايفة إن معاذ جاهز”.

ضحك الأب بخفوت:

“واضح إنك حسمت القرار قبلي”.

---

حين علمت سحر بالأمر، لم تصدق.  
اتصلت به وهي تكاد تبكي من الدهشة:

“انت رحيت لهم لوحدك؟!”

ضحك بخفة:

“كنتي دائماً بتقولي عايزة راجل يواجه،  
فقلت أبدأ بنفسي.”

قالت:

“طب وليه ما قتلتيش؟ كنت عايزة أحضر اللحظة.”

قال:

“كنت عايزها تبقى لحظة مني ليهم...”

مش مننا ليهم.

لأن ده أول وعد أقدر أقدمه ليكي...

إنك هتبعي مسؤوليتي.”

بكت وهي تضحك:

“أنا فعلاً مش عارفة أقول إيه.”

قال بصوتٍ دافئ:

“قولي إنك موافقة، والباقي عليا.”

---

بدأت بعدها التحضيرات الصغيرة.  
زيارات عائلية، كلام رسمي بين الأسرتين،  
تحديد موعد الخطوبة،  
وكل تلك التفاصيل البسيطة التي تراها القلوب الكبيرة احتفالاً،  
حتى لو كانت مجرد كلمات.

لكن مع كل استعداد،

كانت تظهر لحظات قلق من نوعٍ آخر—

قلق من التغيير نفسه.

في أحد الأيام، قالت سحر له وهما يتمشيان في شارع النيل:

“حاسة إننا داخلين على مرحلة جديدة...”

بس بخاف منها.”

قال بابتسامةٍ مطمئنة:

“الخوف طبيعي،

بس المهم نواجهه سوا.”

قالت بخفوت:

“بس الجواز حاجة كبيرة.”

قال وهو يضحك:

“وأنا شخص بسيط، فمحتاجها تبقى كبيرة عشان أتعدل.”

ضحكت رغماً عنها،  
لكن داخلها كان هناك سؤال صامت:  
هل يمكن أن يظلّ الحبّ بعد الزواج كما هو؟

---

قبل الخطوبة بأسبوع،  
حدث أمر بسيط كاد يفسد هدوءهم.  
كان معاذ في الاستوديو،  
وأرسل له أحد المصورين الشباب تصميمًا لحملة جديدة.  
كتب في الرسالة:

“محتاج تعليق سحر على النصوص.”

نسي معاذ أن يخبرها في الوقت نفسه،  
فحين وصلها التصميم من غير توضيح،  
ظنّت أنه مشروع جديد لم يخبرها عنه.

اتصلت به وقالت بلهجة متوترة:

“هو في مشروع ثاني من ورايا؟”

قال بهدوء صادق:

“يا بنتي ده مشروعنا!”

أنا نسيت أقولك إن الولد اللي بيصمّم استعان بكلامك من كتاباتك القديمة.”  
ضحكت بخجل وقالت:

“أنا شكلي بقيت بشكّ بسرعة.”

قال لها برقة:

“وأنا شكلي بقيت بحبكّ بسرعة ثاني.”

---

جاء يوم الخطوبة أخيرًا.  
بيت سحر كان مزدحمًا بالضحك والعمور والتهاني.  
ارتدت فستانًا أبيض بسيطًا،  
وشعرها منسدل بخفة تجعلها تشبه نسمة من ربيعٍ تأخر كثيرًا.  
أما معاذ، فوقف أمام المرأة في بيته يتأمل نفسه،  
لم يرَ رجلًا في بدلة،  
بل رأى شابًا عاش تفاصيله حتى النهاية.

حين دخل بيتها، كان والدها في انتظاره بابتسامةٍ فخورة.  
قال له وهو يصافحه:

“الحبّ اللي يبدأ باحترام بيكمل،  
وأنا مطمئنّ على بنتي.”

جلس الجميع، وتمت الخطوبة وسط ضحكاتٍ صافية.  
لكن اللحظة التي لم تُسَنَ كانت حين وقف معاذ أمام الجميع وقال بصدقٍ كبير:

“كلنا بنتكلم عن النصيب،  
بس أنا مؤمن إن النصيب كمان محتاج سعي.  
وسعيي كله كان عشان اللحظة دي.”

صَفَّق الجميع،  
لكن سحر لم تقدر أن تخفي دموعها.  
لم تكن دموع فرحٍ فقط،  
بل دموع اعترافٍ داخلي:  
“كل خوف كان يستحق.”

---

في تلك الليلة، بعد انصراف الجميع،  
جلس معاذ على سطح بيته ينظر إلى السماء،  
والأنوار تتلألأ في الشوارع أسفل منه.  
فتح دفتره، وكتب آخر سطور يومه الطويل:

“القرار مش سهل،  
لكن لما تلاقي اللي بيظمنك في سكوتك قبل كلامك،  
بيكمل النقص اللي فيك من غير ما يلغيه...  
يبقى القرار واضح.

النهارده مش بس يوم خطوبتي،  
النهارده اليوم اللي خلاني أصدق إن كل انتظار كان تمهيد للقاء.

سحر مش كانت حبيبتي...  
سحر بقت بيتي.”

---

ومنذ تلك الليلة،  
صار كل شيءٍ بينهما يبدو طبيعيًا جدًا،

ومع ذلك عظيمًا في الوقت نفسه.  
الضحك، النقاشات، التعب، التخطيط، وحتى الصمت.  
كأن القدر قال لهما أخيرًا:  
"كفاية اختبارات... دلوقتي ابدأوا الحياة".

---

---

## الفصل السابع عشر

### التحضيرات البسيطة

كان الصيف على الأبواب،  
والقاهرة تعيش أيامًا متقلبة بين الحرّ الخفيف والنسيم المسائي.  
في شوارعها، الناس يجرون وراء الحياة،  
لكن عند معاذ وسحر،  
كانت الحياة نفسها تتوقّف قليلاً،  
كأنها تنتظرهم ليُعيدوا ترتيبها على مقاسهما.  
منذ خطوبتهما، بدأت مرحلة جديدة في قصتهما—  
الهدوء بعد العاصفة،  
والواقعية بعد الأحلام.  
لم يعد الحبّ وعدًا أو احتمالات،  
بل أصبح تفاصيل تُخطّط، وتنفّذ، وتناقش،  
وأحيانًا تُختلف عليها، ثم يُضحك عليها في النهاية.

---

### بداية التخطيط

في أول لقاء بعد الخطوبة، قال معاذ وهو ينظر إليها بحماسٍ طفولي:

“أنا نفسي نعمل فرح بسيط جدًّا،  
في مكان مفتوح، فيه شجر ونور خافت.”  
قالت بخفة:

“وأنا نفسي الفرحة يبقى صغير، بس كبير في القلب.”

ضحك وقال:

“يعني متخافيش... مش هجيب مطربين ولا فقرات رقص.”  
قالت مازحة:

“بس هتجيب كاميرا طبعًا!”

ردّ مبتسمًا:

“أكيد، هو في حياة من غير صور؟”

ثم نظر إليها بجديّة مفاجئة وقال:

“بس مش عايز الفرحة يبقى عن الصور،  
عايزه يبقى عنّا”.

---

منذ ذلك اليوم، بدأت سلسلة الاجتماعات الجميلة والمتعبة في الوقت نفسه:  
الاختيار، المواعيد، المقاسات، الأسعار، والآراء المختلفة من كل الأطراف.  
كانت سحر تقول دائماً وهي تضحك:

“الجواز مش مشروع حياة بس، ده مشروع مناقصات!”

ومعاذ يردّ ساخرًا:

“المناقصة الوحيدة اللي كسبتها بدون منافسة هي إنت”.

لكن خلف الضحك، كان هناك دائماً إدراك عميق:  
أنهما الآن في المرحلة التي يختبر فيها الحب واقعيته.  
مرحلة لا تعتمد على الشوق، بل على الصبر،  
ولا على الوعود، بل على الفعل.

---

الاختلافات اللطيفة

في إحدى المرات، جلسا معاً في كافيه صغير لمناقشة مكان الفرحة.  
قالت سحر:

“أنا بحب الأماكن المفتوحة”.

قال معاذ:

“وأنا بحب الأماكن الصغيرة الدافئة”.

ضحكت وقالت:

“يعني نعمله في بلكونة!”

ضحك هو أيضاً، ثم قال:

“لا... نعمله في مكان يشبهنا، بسيط بس فيه روح”.

وبعد نقاش طويل، اختارا معاً مكاناً في حديقة تطلّ على النيل،

مكان يشبه كل ما بينهما:

هادئ، مليء بالضوء الطبيعي،

وفيه ركن صغير يمكن أن يلتقط فيه معاذ الصور بنفسه.

---

## لحظات التسوق

من أطرف لحظات التحضيرات كانت رحلة شراء الشبكة.  
سحر لم تكن من النوع الذي يهتم بالبريق أو الفخامة،  
لكنها أرادت شيئاً يحمل "معنى".  
كانت تتجول بين المحلات ومعاد يسير خلفها مثل طفلٍ يتعلم الصبر.  
قالت له بعد نصف ساعة من البحث:

"كل الذهب شبه بعض".

قال بخفة:

"وأنا كنت فاكرك هتختاري حاجة تلمع زيك".

قالت مبتسمة:

"أنا مش عايزة حاجة تلمع،

أنا عايزة حاجة تفضل".

حين اختارت أخيراً خاتماً بسيطاً صغيراً على شكل موجة،  
قال لها:

"ده شبه النيل،

اللي بدأنا عنده أول مرة".

ابتسمت، وعرفت أنها اختارت الخاتم الصح.

---

## حديث المستقبل

في إحدى الأمسيات، جلسا على الكورنيش يشربان العصير كعادتهما،  
والقمر يعكس وجهه على سطح النيل.  
قال معاذ وهو يحدق في الأفق:

"سحر، بعد الجواز عايز أفضل أشتغل على مشروع،

بس عايز كمان نعمل حاجة سوا".

سألته بفضول:

"زي إيه؟"

قال:

"نفكر نعمل كتاب مصور سوا،

إنت تكتبي وأنا أصور.

عن الناس اللي بيحبّوا بجد،  
الناس اللي الحياة بتحاول تهزمهم، بس بيكملوا”.

ضحكت وقالت:

“يعني كتاب عنا”.

قال مبتسمًا:

“بالضبط”.

التوتر الصغير

مع كل التحضيرات الجميلة، بدأت تظهر ضغوط بسيطة.  
التعب، ضغط الوقت، ملاحظات الأهل، ميزانية الفرح...  
وفي إحدى الليالي، حدث بينهما خلاف بسيط لكنه كان مؤلمًا.

كانت سحر متوترة بسبب تجهيز الفستان،

ومعاذ مشغول بتصوير إعلان جديد.

تحدثا في الهاتف، وعلت نبرة صوتها قليلًا:

“أنت دايماً مشغول، حتى الأيام اللي المفروض تبقى لينا”!

ردّ هو بحدّة غير معتادة:

“وانتِ فاكرة إني بشتغل لنفسي؟ ده كله علشاننا يا سحر”.

صمتت.

ثم أنهت المكالمة دون وداع.

مرّت ساعات طويلة من الصمت بينهما.

وفي منتصف الليل،

أرسل لها معاذ رسالة بسيطة جدًّا:

“أنا آسف.

بس لو تعرفي إن كل تعبّي ده علشانك،

يمكن تزعلي أقل”.

بعد دقائق، جاء ردّها:

“وأنا آسفة.

بس ساعات بحسّ إني مش عايزة منك إنجاز،

عايزة بس وقت”.

ابتسم حين قرأ الرسالة.  
في الصباح، ذهب إليها ومعه ورد أبيض،  
وقال لها بهدوء:

“هو ده الإنجاز اللي بجد”.

---

لحظات ما قبل الفرح

أقرب الموعد.

الكل منشغل بالتفاصيل:

الفستان، الدعوات، الزينة، الموسيقى.

لكن في قلب معاذ، كان هناك شعور واحد فقط—  
أنه أخيراً وصل.

في الليلة السابقة للزفاف،

جلس في شرفته ينظر إلى القاهرة التي نامت نصفها،

وكتب آخر صفحة من دفتره قبل أن يطوي الرحلة القديمة:

“التحضيرات الحقيقية مش في القاعات ولا الفساتين،

التحضيرات في القلب...  
لما يبقى جاهز يسامح، ويصبر، ويضحك رغم التعب.

بكرة مش يوم الفرح...  
بكرة اليوم اللي هبدأ فيه أعيش الحب بدل ما أكتبه”.

---

في اليوم التالي

في الصباح، كانت سحر أمام المرأة،

تضع اللمسات الأخيرة،

وقلبها ينبض كأنه يعيش للمرة الأولى.

أمسكت بخاتم الخطوبة في يدها وقالت لنفسها:

“من أول لحظة قابلته،

كنت حاسة إن القدر بيجهّزني ليوم زيه”.

وفي نفس اللحظة،

كان معاذ يقف أمام الكاميرا في الاستوديو الفارغ،

يضبط العدسة على علبة صغيرة فيها الخاتم الجديد،

وضوء الصباح ينساب على وجهه.  
قال بصوتٍ منخفضٍ لنفسه:  
"دلوقتي الصورة هتكتمل".

---

---

## الفصل الثامن عشر

### يوم الزفاف

استيقظت القاهرة في ذلك الصباح على دفءٍ غير معتاد في منتصف الصيف.  
السماء صافية، والهواء يحمل رائحة مطرٍ خفيف من الليلة السابقة،  
وكان القدر قرّر أن يمنح المدينة لمسة نضارة في يومٍ استثنائي.

في حيّ المعادي، كان معاذ يجلس على حافة السرير في صمتٍ غريب.  
لم يشعر بالتوتر كما كان يتوقع،  
بل بشيءٍ أشبه بالسكينة—

تلك السكينة التي تأتي بعد معارك طويلة حين تدرك أنك وصلت أخيرًا إلى المكان الذي تنتمي إليه.

أمام المرأة، بدأ يرتدي بدلته الرمادية الفاتحة.

لم يكن يهتم بالتفاصيل المظهرية كثيرًا،

لكنه أراد أن يكون هذا اليوم بسيطًا وصادقًا مثله.

وعندما انتهى، نظر إلى نفسه للحظة،

وتذكر كل السنوات التي حمل فيها الكاميرا يبحث عن “اللقطة الكاملة”،

ثم ابتسم وقال في سرّه:

“النهارده أنا الصورة”.

---

في الجهة الأخرى من المدينة،

كانت سحر تقف أمام المرأة في غرفة مليئة بالورد والضحك والنساء.

فستانها أبيض بسيط، بلا بهرجة،

ينساب مثل الضوء على جسدها.

رفيقتها كانت ترتب شعرها وهي تضحك وتقول:

“مش حاسة بتوتر خالص؟”

قالت سحر بابتسامة هادئة:

“حاسة... بس مش توتر،

كأنه سلام بعد تعب طويل”.

جلست للحظة، أغمضت عينيها،

ورأت في ذهنها مشاهد الرحلة الطويلة:

لقاؤهما الأول، الجدالات الصغيرة، السفر، الانتظار، المصالحة،

ثم اليوم الذي قال فيه "هتكوني مسؤوليتي".  
فتحت عينيها وهي تهمس:  
"هو دا وعدي كمان".

#### بداية اليوم

قبل أن يبدأ الحفل بساعات، قرر معاذ أن يزور مكانهم المفضّل — الكورنيش.  
وقف أمام النيل،  
يتأمل الماء الذي كان شاهداً على كل لحظاتهم.  
أخرج من جيبه كاميرته القديمة،  
التقط صورة للنهر عند الغروب،  
وكتب تحتها بخطٍ صغير على دفتره:  
"نفس المكان... بس المرة دي مش لوحدي".  
ثم أرسل الصورة لسحر مع رسالة قصيرة:  
"مستنيك على الضفة الثانية من الحلم".

#### الحفل

مع اقتراب المساء، بدأ الضيوف يتوافدون إلى الحديقة المطلة على النيل.  
الأنوار الصغيرة المعلقة بين الأشجار تلمع كأنها نجوم هبطت من السماء لتبارك اللحظة.  
الموسيقى كانت هادئة،  
مزيج من عودٍ خافتٍ وإيقاعٍ شرقيٍّ دافئٍ،  
ورائحة الورد الأبيض تملأ المكان.  
حين دخل معاذ بخطواتٍ وثقة،  
ارتفعت العيون نحوه،  
لكنه لم يرَ أحداً سواها.  
كانت سحر تقف في الطرف الآخر من الحديقة،  
تتقدّم بخطواتٍ بطيئة،  
والفستان الأبيض يلمع كأنه قطعة من الضوء.  
اقترب منها ببطءٍ،  
وحين التقت عيناها، سكتت كل الأصوات للحظة.  
قال بخفوتٍ لا يسمعه سواها:

“جميلة... بس مش علشان الفستان”.

قالت مبتسمة:

“وأنت متأخر... بس مش علشان الساعة”.

ضحك، وأمسك يدها برفقٍ أمام الجميع.

كانت تلك اللحظة كافية لتقول كل شيء لم يُقال في السنوات الماضية.

---

### الكلمة

بعد أن انتهت مراسم الزفاف البسيطة،  
طلب معاذ من الجميع أن يسمح له بكلمة قصيرة.  
وقف أمام الحضور، صوته ثابت ونبرته صادقة،  
وقال:

“كل الناس بتقول إن الجواز نهاية قصة الحب،  
وأنا بشوفه بدايتها الحقيقية”.

يمكن الناس شافتنا بنضحك النهارده،  
بس اللي محدش شافه هو الأيام اللي بكينا فيها سواء،  
أو الخلافات اللي علمتنا نسمع بعض،  
أو السفر اللي علمنا يعني إيه غياب.

سحر...

أنا وعدتك من أول يوم إني مش هخليك تمشي لوحديك،  
والنهارده بوفي بوعدتي.

لما تلاقينا، ماكنّاش بنخطّط.

لكن النهارده... إحنا بنكتب الحكاية بإيدينا”.

ساد صمت قصير،

ثم تصفيق حار من الجميع،

لكن أكثر ما لفت الأنظار هو دموع سحر التي لم تحاول إخفاءها.

كانت تبكي بهدوءٍ، تبتسم وسط دموعها،

كأنها تشهد معجزة صغيرة اسمها “الطمأنينة”.

---

بعد الحفل

حين انتهى الزفاف، اختار معاذ ألا يذهب مباشرة إلى الفندق.  
قال لها بابتسامة خفيفة:

“نعدّي على الكورنيش الأول؟”

قالت بخجلٍ طفولي:

“بالفستان ده؟”

قال:

“الناس هيفتكروننا إعلان.”

ضحكت، ووافقت.

نزلا من السيارة،

كانت القاهرة صامتة إلا من نسمةٍ تمرّ على الماء.

وقفا أمام النيل كما فعلا في أول لقاء لهما،

لكن هذه المرة، كان الصمت مختلفاً.

لم يكن صمتٌ خوفٍ أو انتظار،

بل صمت امتنان.

قالت سحر وهي تنظر إلى الماء:

“فاكر أول مرة جينا هنا؟ كنت بتصور الحمام اللي بيظير.”

قال:

“وأنا كنت فاكر إني بدور على لحظة فنية،

بس كنت بدور عليكى.”

مدّ يده نحوها وقال بخفوت:

“كل مرّة كنت بتظهري لي في النص.”

---

لحظة رمزية

أخرجت سحر من حقيبتها شيئاً صغيراً —

كان الخاتم الفضي الذي أهدته له في بداية علاقتهما،

قالت:

“فاكر ده؟ كنت خايفة يومها إننا مش هنكمل.”

قال وهو يأخذه منها:

“ودلوقتي بقى رمز إننا كملنا.”

ثم وضعه في جيبه بجانب خاتمه الجديد وقال:

“الأتنين ليهم نفس المعنى...  
البداية والنهائة في نفس المكان.”

---

نهائة اليوم

عادا إلى البيت الجديد في هدوءٍ كامل.  
الشوارع كانت شبه خالية،  
وصوت القاهرة في الليل بدأ مختلفاً—  
أقل ضجيجًا، أكثر حنية.

حين دخلت سحر الشقة لأول مرة،  
وجدت على الطاولة إطارًا كبيرًا لصورةٍ قديمة لهما على الكورنيش.  
تحتها كتب بخطّه:

“أول مكان شافنا،  
وأول بيت هيلمنا.”

ابتسمت،  
ثم نظرت نحوه وقالت:

“انت دايمًا بتسبقني بخطوة.”  
قال وهو يقترب منها:  
“يمكن عشان دايمًا ببصّ لنفس الاتجاه.”

ضحكت بخجلٍ،  
ثم جلست بجانبه على الأريكة الصغيرة المطلة على الشرفة.  
لم يتحدثا كثيرًا.

كانت هناك موسيقى خافتة تأتي من الشارع،  
وصوت الأذان البعيد يملأ الجوّ بطمأنينةٍ غريبة.

قال لها بهدوءٍ وهو ينظر إلى السماء:

“حاسس إن الدنيا وقفت لحظة.”  
قالت:

“عشان دي اللحظة اللي كنا بنستناها.”

---

في منتصف الليل،

حين نامت سحر بين ذراعيه بهدوءٍ،

ففتح معاذ عينيه لبرهة،  
ونظر إلى ملامحها النائمة.  
كانت ملامح إنسانة يعرفها كما يعرف نفسه.

ثم ابتسم، ومدّ يده إلى دفتره الصغير،  
وكتب آخر سطور ذلك اليوم:

“مافيش لحظة اسمها النهاية السعيدة،  
في لحظة اسمها البداية الهادية.

وسحر...

كانت أول مرة أحسن إن الصورة اتكملت فعلاً”.

---

ومن تلك الليلة،  
بدأت قصة جديدة لم تكتب بعد،  
لكنها كانت الأصدق على الإطلاق —  
قصة الحبّ الذي لم يُهزم رغم الخوف،  
ولم يخفت رغم العادي،  
لأنهم اختاروا ببساطة  
أن يعيشوا الحبّ كحياة ... مش كطم.

---

---

## الفصل التاسع عشر

### بداية حياة مشتركة

استيقظت الشمس بهدوءٍ على شوارع القاهرة،  
كانت السماء صافية كأنها تُبارك بداية يومٍ جديد،  
لكن بالنسبة لـ معاذ وسحر،  
لم يكن صباحًا عاديًا—

كان أول صباحٍ لهما معًا كزوجين.

فتح معاذ عينيه ببطءٍ،  
نظر إلى الغرفة الجديدة التي ما زالت تفوح منها رائحة الدهان،  
وأثاثٍ بسيطٍ اشتروه بضحكٍ وتعبٍ قبل أسابيع.  
لم يكن البيت فاخرًا،  
لكنه كان مليئًا بما لا يُشترى: الحنين.

نظر بجانبه فرأى سحر نائمةً بسلام،  
وجهها مريح كأنه وعد من الله بالسكينة.  
ابتسم بخفوتٍ وهو يهمس:

“أخيرًا... البيت ليه معنى.”

---

### صباح جديد

بعد قليل، استيقظت سحر بخجلٍ جميل وهي تراه ينظر إليها.  
قالت وهي تضحك بخفوت:

“بظّلت تنام ولا إيه؟”

قال مازحًا:

“أنا كنت صاحي أراقب أول يوم في الحياة الجديدة.”

قالت:

“يعني هتراقبني طول عمري؟”

قال مبتسمًا:

“طول العمر قليل.”

ضحكت بخجلٍ صادق، ثم قامت لتعدّ لهما الفطور الأول في البيت.  
كانت حريصة أن يكون بسيطًا جدًّا: بيض، جبنة، خبز ساخن، وشاي.

لكن معاذ كان ينظر للمشهد كأنه لوحة كاملة.  
قال لها وهو يلتقط صورة بهاتفه:

“ده أحلى فطور اتصور في حياتي”.  
قالت بخفة:

“ما هو مفيش غيري اللي هتطولك بيض مقلي بنكهة حب”.  
ضحكا معاً، وكان ذلك الصباح أشبه ببداية فيلم جديد —  
هادئ، حقيقي، ومليء بالضوء.

### الأيام الأولى

مرّت الأيام الأولى بين الفوضى والضحك.  
المنزل كان مليئاً بالكرتونات غير المرتبة،  
والملابس المبعثرة، والأكواب التي تُنسى في كل زاوية.  
لكن وسط تلك الفوضى،  
كان هناك شيء جميل اسمه الحياة المشتركة.

في المساء، كانا يجلسان في الشرفة الصغيرة،  
يشربان الشاي ويتحدثان عن كل شيء بلا ترتيب:  
عن الطفولة، عن أحلامهما القادمة،  
وعن الخطط التي لا تهتم أحداً سواهما.

قال معاذ ذات ليلة:

“كنت فاكّر الجواز هيخنق الحرية”.

قالت سحر مبتسمة:

“ولقيته بيحررها”.

قال:

“بالضبط. الحرية الحقيقية إنك تكون مطمئن إن في حد بيثيل معاك”.

قالت بخفوتٍ دافئ:

“وبيفهمك من غير ما تشرح”.

### أول خلاف

لكن الحياة، بطبيعتها، لا تخلو من التفاصيل الصغيرة التي تثير الزعل.  
ذات مساء، نسي معاذ أن يخبرها أنه سيتأخر في العمل.

انتظرته طويلاً، والعشاء برد على المائدة.  
وحين عاد متعباً، وجد وجهها مليناً بالضيق المكبوت.

قال بابتسامةٍ مرهقة:

“مساء الخير”.

قالت ببرودٍ واضح:

“لو كنت فاكراً إن ده وقت مساء الخير، يبقى عندك توقيت مختلف”.

جلس في هدوءٍ،

ثم قال بعد لحظة صمت:

“عندك حق. نسيت أقولك، وده غياب مني”.

قالت وهي تحاول أن تبدو قوية:

“مش بس نسيان، دي تفاصيل صغيرة بتبني أو تهد”.

اقترب منها وقال بخفوت:

“واحنا تعبنا أوي في البناء، مش هندهه عشان سهو”.

نظرت إليه للحظة،

ثم ابتسمت رغماً عنها وقالت:

“المهم المرة الجاية تبعلي مسج”.

قال ضاحكاً:

“أو أبعثك صورة من الزحمة”.

---

### التفاصيل الصغيرة

مرّ الوقت،

وصارت الحياة بينهما مزيجاً من الطفولة والنضج.

يتخاقون على نوع القهوة،

ثم يتصالحان على ضحكة صغيرة.

كان معاذ يحب أن يطبخ في عطلة نهاية الأسبوع.

يقول دائماً:

“الطبخ زي التصوير... محتاج صبر وتوازن”.

وكانت سحر تراقبه وهو يقطع الخضروات بدقةٍ مبالغ فيها،

فتضحك وتقول:

“يا مهندس الكوسة، خلّص قبل المغرب”.

ثم يأكلان معًا، ويضحكان حتى على الأكل لو طلع مش مضبوط.  
كانت تلك اللحظات الصغيرة تُكوّن ذكرياتٍ يومية لا تُنسى،  
كأنها نسيج بيتٍ من الخيوط الرفيعة التي تربطهما يومًا بعد يوم.

#### لحظات من التعب

لكن ليس كل شيءٍ كان وديًا.  
في بعض الليالي، كان معاذ يعود مرهقًا من العمل،  
يجلس صامتًا طويلًا،  
وسحر تحاول أن تفتح معه حديثًا دون جدوى.

وفي مرة قالت له بنبرة حزينة:

“مش بحب أشوفك ساكت كده”.

قال:

“مش زعلان منك... بس الدنيا ساعات بتضغط”.

قالت:

“طب سيب الدنيا شوية، واتكلم معايا”.

ابتسم وقال بخفوت:

“ده اللي بينقذني كل مرة”.

اقترب منها ووضع رأسه على كتفها.

كانت تلك اللحظة كافية لتقول له إنه لا يحتاج دائمًا أن يكون قويًا،  
فالقوة الحقيقية أحيانًا هي أن تترك نفسك تتراح في حضن من تحب.

#### أول زيارة للأهل

بعد شهرين من الزواج، قرّرا زيارة بيت أهلها في عطلة الجمعة.  
كانت سحر متوترة — تريد أن يظهر معاذ في أبهى صورة،  
بينما هو كان يتصرّف ببساطةٍ شديدة كعادته.

حين دخلا البيت، استقبلهما الأب بابتسامةٍ فخورة.

قال له مازحًا:

“لسه سحر بتزعلك ولا لسه في مرحلة الهدنة؟”

ضحك معاذ وقال:

“هي بتزعلني، بس بتصالحني بسرعة... وأنا بحب الخلافات السريعة”.

ضحك الجميع، وشعرت سحر أن والدها أصبح أخيراً يراه كما تراه هي:  
رجلاً بسيطاً، لكنه صادق حتى العظم.

---

### أول رحلة

قرر معاذ بعد فترة أن يفاجئها برحلة قصيرة إلى الإسكندرية.  
استيقظت صباحاً فوجدت ورقة على السرير مكتوب فيها بخطه:

“جهزي شنطتك، القطر بعد ساعتين.”

في القطار، جلسا بجانب النافذة،  
الهواء يدخل من الشقوق الصغيرة،  
وسحر تضحك كطفلة حين يرى شعرها يتحرك مع الريح.

حين وصلا البحر،  
وقفا أمام الموج في صمتٍ طويل.  
قالت بخفوتٍ وهي تنظر للأفق:

“كنت بحلم اليوم ده من زمان.”

قال:

“وأنا كنت بحلم أشوفك كده.”

قالت:

“كده إزاي؟”

قال بابتسامةٍ صادقة:

“حرّة... ومطمنة.”

جلسا على الرمل،  
وكان معاذ يحمل الكاميرا كعادته،  
لكنه هذه المرة لم يصوّر البحر،  
بل التقط أول صورةٍ لهما بعد الزواج،  
ثم قال:

“دي مش صورة... دي وعد.”

---

في تلك الليلة، عاد إلى الفندق،  
فتح دفتره القديم الذي صاحبه منذ بداية الرحلة،  
وكتب بخطٍ مطمئنٍ هادئٍ:

“البيت مش جدران ولا أثاث.  
البيت هو الشخص اللي لما تتعب،  
تحس إن صمته علاج.

وسحر...

كانت أكثر من بيت.

كانت وطن.”

---

ومنذ تلك الليلة،  
بدأت الحياة الحقيقية فعلاً.  
لم تعد العلاقة مجرد قصة رومانسية تُروى،  
بل حياة تُعاش، يوماً بيوم،  
فيها تعب وضحك، خوف وحنين،  
لكنها دائماً تنتهي عند النقطة نفسها —  
عند الدفاء اللي اسمه سحر،  
والصدق اللي اسمه معاذ.

---

---

## الفصل العشرون

### غاية السعادة

مرّت السنوات في هدوءٍ يشبه النهر،  
لا تتوقف لحظة، لكنها لا تفقد جمالها أبدًا.  
القاهرة تعيّرت كعادتها—  
شوارعها ازدادت ازدحامًا،  
والناس تسرع أكثر،  
لكن بيت معاذ وسحر ظلّ واحهً صغيرة من الطمانينة وسط كل هذا الضجيج.

كانت حياتهما الآن مستقرة،  
بسيطة مثل أول فنجان قهوة تشاركا فيه،  
لكنها عميقة مثل نظرات صامته تتكرر كل صباح دون ملل.

---

### بعد خمس سنوات

استيقظ معاذ كعادته مبكرًا،  
فتحه الضوء الخفيف القادم من الشرفة،  
والنيل يلمع من بعيد كما كان دائمًا،  
لكن هذه المرة، كان يسمع صوتًا صغيرًا في المطبخ.

اقترب ببطء،  
فرأى سحر تُعدّ الفطور،  
وإلى جانبها طفلة صغيرة لا تتجاوز الثلاث سنوات،  
تحاول أن تقلب العجينة بيديها الصغيرتين.

قال ضاحكًا وهو يتكئ على الباب:

“مين الشيف الجديدة دي؟”

قالت سحر مبتسمة:

“دي ليلي... بتتدرب علشان تعملك الفطور بدل ماما”.

قال وهو ينحني ليقبل الطفلة:

“لو الطبخ شبه ضحكتها، يبقى الأكل هيبقى أحلى حاجة في الدنيا”.

ضحكت سحر وقالت بخفة:

«هتفضل شاعر حتى في المطبخ».  
قال مازحاً:  
«ده لأن الحب بيخلي كل حاجة شعر».

---

### البيت

كان البيت الصغير الذي جمعهما أول يومٍ من الزواج قد تغير.  
أضافا إليه لمساتٍ بسيطةٍ تعبّر عن حياتهما الجديدة:  
لوحات من تصوير معاذ معلقة على الجدران،  
ونباتات خضراء تهتمّ بها سحر بعنايةٍ كأنها أولادها.  
وفي الركن الصغير من غرفة المعيشة،  
كانت هناك طاولة خشبية كتب فوقها معاذ بخطه:  
«هنا بدأنا نحلم».

لم يكن الثراء المادي هو ما جعلهما سعيدين،  
بل البساطة —  
ذلك النوع من الثراء الذي لا يُقاس بالمال،  
بل بالدفء، والمشاركة، والسكينة.

---

### العمل والحلم

استمر معاذ في إدارة استوديو «ضوء القاهرة»،  
لكنه الآن لم يعد يركّز على الإعلانات فقط،  
بل بدأ مشروعه الحلمى مع سحر:  
كتاب مصوّر بعنوان «وجوه من النيل»،  
يوثقان فيه قصص الناس العادية التي تمرّ على ضفاف النهر كل يوم.  
كانت سحر تكتب النصوص،  
ومعاذ يلتقط الصور،  
وفي كل قصةٍ كانا يريان انعكاسًا من حياتهما —  
حب بسيط، تعب صادق، وابتسامة تستحق البقاء.  
قال لها في أحد الأيام وهو ينظر إلى صورهم المنشورة في إحدى الجرائد:  
«تخيلتي يا سحر،  
إحنا بقينا بنكتب عن الناس اللي زينا».

قالت وهي تمسك يده:  
"يمكن لأننا فهمنا إن السعادة مش في الكمال،  
السعادة في المشاركة".

---

روتين جميل

في المساء، كانت الطفلة ليلي تنام في غرفتها،  
وسحر تجلس في الشرفة،  
تقرأ رواية بينما معاذ يعدّ الشاي.

قال وهو يخرج كوبين:

"فاكرة أول مرة عملتلك شاي؟ كان طعمه مرّ".  
ضحكت:

"لسه فاكرة! بس كنت شربتته للنهاية".  
قال بخفة:

"ده حبّ ولا شجاعة؟"

قالت مبتسمة:

"الاتنين".

جلس بجانبها،

وتبادلا الصمت الذي لا يحتاج إلى كلام.  
ثم قالت بعد لحظةٍ من التأمل:

"عارف يا معاذ..."

كنت زمان فاكرة إن السعادة لحظة كبيرة.  
بس اكتشفت إنها تفاصيل صغيرة بتتكرر".

قال وهو ينظر إليها بعينٍ مطمئنة:

"وده اللي خلاني أعيش".

---

أزمة صغيرة

في أحد الأيام، مرض معاذ قليلاً.

تعب من العمل والإرهاق،

فاضطر أن يظلّ في البيت أياماً.

كانت سحر تهتمّ به كأنها تعتني بطفلٍ كبير.

قال لها مازحًا وهو على السرير:

“واضح إن الجواز بيرجع الراجل طفل تاني”.

قالت:

“بس طفل مسؤول”.

قال مبتسمًا:

“يعني كبير وصغير في نفس الوقت”.

قالت بحنان:

“في نظري... دايماً كبير بالحب”.

حين تعافى،

أصرّ أن يلتقط لها صورة وهي تحضّر له الدواء.

قال:

“الصورة دي هسميها بالاهتمام اللي ملوش سعر”.

## ذكرى الزواج

في ذكرى زواجهما الخامسة،

قرر أن يفاجئها بهدية مختلفة.

بدلاً من المجوهرات أو العطور،

أعدّ اليوم صورٍ كبيرٍ يحتوي على لحظاتهم منذ البداية—

من أول لقاء، مرورًا بالخطوبة، ثم الزفاف، فالسفر، ثم ليلى.

وفي الصفحة الأخيرة،

كتب بخطه:

“مش دايماً الحياة بتديك اللي تتمنى،

بس لما تديك اللي محتاجه،

بتعرف إنها كانت بتجهّلك للوقت الصح.

وسحر...

كنتي الوقت الصح في حياتي”.

حين قرأت الكلمات،

بكت بهدوءٍ واحتضنته،

وقالت بصوتٍ متهدّج:

“وأنت كنت الأمان اللي عمره ما اتأخر”.

---

تأمل

في إحدى الليالي، بعد أن نام الجميع،  
جلس معاذ في الشرفة ينظر إلى السماء.  
المدينة صاخبة، لكن داخله كان هادئاً تماماً.  
تذكر الأيام القديمة، كيف كان يظن أن الحب نارٌ تشتعل دائماً،  
ثم ابتسم حين أدرك أن الحب الحقيقي دفءٌ لا ينطفئ أبداً.

كتب في دفتره،  
نفس الدفتر الذي صار شاهداً على كل فصول حياته:

“زمان كنت بدور على السعادة.  
دلوقتي فهمت إن السعادة مش حاجة بتتدور عليها،  
دي حالة بتعيشها لما تكون راضي.

الحب مش وعد،  
الحب عادة من الرحمة”.

---

النهاية الهادئة

في صباح اليوم التالي،  
استيقظ على صوت ضحك ابنته وهي تجري في الشقة.  
فتحت سحر الباب وقالت له بابتسامة لا تتغير:

“الطور جاهز يا مصور القلوب”.  
قال وهو يضحك:  
“جايلك حالاً يا بنت النيل”.

جلسوا جميعاً حول المائدة الصغيرة.  
الضوء الذهبي يتسلل من الشرفة،  
والضحك يملأ الجو.

لم يكن في المشهد شيء خارق،  
لكنه كان يحمل كل ما أراده في حياته:  
بيت صغير، قلب مطمئن، وأصوات يحبها.

---

في المساء، قبل أن ينام،  
فتح معاذ الدفتر للمرة الأخيرة وكتب:

“الغاية مش إننا نوصل،  
الغاية إننا نكمّل.

والسعادة مش في الصورة الأخيرة،  
السعادة في كل اللقطات اللي سبقتها.

لما تلاقينا،  
كنت بدور على حبّ،  
بس لقيت حياة”.

ثم أغلق الدفتر،  
ووضعه على الرفّ بجوار الكاميرا القديمة،  
ورسم على وجهه ابتسامةً خفيفةً،  
كأن قلبه أخيراً قال:

“أنا وصلت”.

---

## الخاتمة

الحبّ مش حكاية تبدأ بلقاء وتنتهي بزفاف،  
ولا هو وعد يتقال في لحظة اندفاع،  
الحبّ الحقيقي رحلة طويلة...  
فيها تعب وصبر، فيها غياب وحنين،  
لكن الأهم فيها إنك تلاقي نفسك في عيون شخص واحد—  
يفهمك من غير شرح، ويحضنك من غير مبررات.

في «لما تلاقينا»، ما كانت القصة عن معاذ وسحر بس،  
كانت عن كل قلب خاف من الحبّ ورجع يجربيه،  
عن كل إنسان فقد الثقة ولقاها تاني في ضحكة،  
عن البساطة اللي بتكسب لما الصدق يكون هو اللغة الوحيدة.

مرت السنوات، اتبدّل الناس والمكان،  
لكن اللي اتكتب بين السطور بيفضل ثابت:  
إن السعادة مش في الكمال،  
السعادة في القبول، في المشاركة،  
في كلمة “أحنا” اللي بتفضل موجودة حتى لما الدنيا تتعب.

قد يظن البعض إن النهاية السعيدة حلم...  
لكن الحقيقة إن السعادة الحقيقية مش نهاية،  
دي استمرار —  
استمرار قلبين اختاروا كل يوم يبدأوا من جديد،  
مهما كانت الدنيا عاملة إزاي.

ولأن معاذ وسحر صدّقوا إن اللقاء مش صدفة،  
بقت حكايتهم شاهد بسيط على معنى أعمق:  
إن القدر أحياناً بيأخرك علشان يوصلك للي يستاهلك.

وفي النهاية...  
لما تلاقينا، ما كناش بندور على رواية نكتبها،  
كنا بندور على حياة نعيشها—  
ولقيناها.

القاهرة – 2025

المؤلف : معتز هيثم

